النكات

على كتاب التوحيد

المسمى

قرة عيون الموحدين

القسم الثالث

أبواب شرك النسك

{إياك نعبد}

أ / العبادات العملية.

ب/ العبادات القولية.

فصل (1)/ تجريد التوحيد.
فصل (2)/ ذرائع الشرك "الغلو".
فصل (3)/ الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب".

ج/ العبادات القلبية.

فصل (1)/ شرك التحاكم.
فصل (2)/ سوء الأدب مع الله.
فصل (3)/ تعظيم الله الذي هو خلاصة التوحيد.

أولا/ العبادات العملية :-

1- **الشرك الأكبر : [باب ما جاء في الذبح لغير الله]**
2- **الشرك الأصغر : [باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله].**

قاعدة الأسباب: قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله [(العبادة) مشتقه من التعبد وهو التذلل والخضوع يقال: طريق معبد أي مذلل قد وطئته الأقدام، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يفعلونها خاضعين ذليلين.

وفي الشرع لها تعاريف عند العلماء أحدها ما عرفها به شيخ الإسلام إبن تيمية بقوله **(العبادة: إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)**، ومنها ما عرفه بعض الفقهاء بقولهم **(العبادة ما أمر به شرعا من غير إطراد عرفي ولا إقتضاء عقلي)]** "شرح كشف الشبهات".

فكل قول أو عمل طالب الشرع المكلفين به على جهة التقرب أو أثنى على أهله أو رتب الثواب عليه فهو عبادة صرفها لغين الله شرك أكبر، ولا فرق فيه إن إعتقد فاعلة الربوبية فيمن صرف العبادة إليه أو لم يعتقدها قال تعالى {ألا لله الدين الخالص والذين إتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار} وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه [أتيت رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب، فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله). قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم] رواه الترمذي.

فنية الكلف لا تحسن قبح الشرك قال تعالى {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا} ولم يعذر الله في الشرك غير المكره {ومن كفر بعد إسلامه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم}.

9- [باب ما جاء في الذبح لغير الله]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آيتين وحديثين :

1- الآية الأولى: في بيان كون الذبح عبادة.
2- الآية الثانية: في بيان وجوبها.
3- الحديث الأول: في بيان حرمة الذبح لغير الله.
4- الحديث الثاني: في بيان كونه شركا أكبر.

والذبح لغير الله هو أعظم صور الشرك النسكي وآخر ما يصل أليه المشرك من دركات الشرك.

نكتة (1)/ الذبح والتوحيد :-

إعلم رحمك الله أن "القربان" هو رمز يفعله المرء إظهارا للتعبد للمقرب إليه، وهو من أخص صور العبادة ولذا إتفقت عليه جميع شرائع الأنبياء قال تعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}.

ومعنى النحر: إرخاص الدنيا وإخراجها من القلب وتقديم حب الله على حبها، كما أن معنى السجود إخراج الكبر من القلب بوضع أشرف مافي الإنسان -وجهه- على الأرض إسترضاءا لله وتقربا إليه، وما إستزل الشيطان الناس بشيء كـ"الشح" و "الكبر" فهما شر أدواء القلب، فالذبح يزكي العبد في الأولى والسجود يزكيه في الثانية ولذا كانا قرينان في كتاب الله.

وحقيقة القربان: أن يعمد العبد إلى أنفس شيء عنده فينحره طلبا لرضوان الله وتقديما لحبه على كل محبوب، ومن عنا لما كانت منزلة إبراهيم عليه السلام من رضوان الله أشرف المنازل ومن محبته أعلاها كان قربانه لائقا بهذه المنزلة الرفيعة قال تعالى {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} فلما وقع منه تقديم حب الله على كل محبوب حصل المقصود فرفع البلاء قال تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} إذ المقصود من القربان إنما هو عمل القلب قال تعالى {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ} قال الإمام محمد [الثالثة عشرة/ معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم] قال إبن القيم [الخلّة، وهي تتضمّن كمال المحبة ونهايتَها، بحيث لا يبقى في قلب المحبّ سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجهٍ ما، وهذا المنصب خَلَصَ لخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد، كما قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إن الله اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا"، وفي الصحيح عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله"، وفي حديث آخر: "إني أبرأ إلى كلّ خليل من خُلّته" .

ولما سأل إبراهيمُ الولدَ، فأُعطِيَه، وتعلّق حبه بقلبه، فأخذ منه شعبة؛ غار الحبيب على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبحه . وكان الأمر في المنام، ليكون تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاءً وامتحانًا. ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه، ليخلص القلب للربّ. فلما بادر الخليل إلى الامتثال، وقدّم محبة الله على محبة ولده؛ حصل المقصود، فرُفع الذبح. وفُدي بذبح عظيم، فإنّ الربّ تعالى ما أمر بشيء ثم أبطله رأسًا، بل لابدّ أن يبقى بعضه أو بدَلُه، كما أبقى شرعية الفداء، وكما أبقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة، وكما أبقى الخمسَ صلواتٍ بعد رفع الخمسين وأبقى ثوابها] "الداء والدواء"، قال مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

عودت نفسك عادات خلقت لها

صدق اللقاء وإنجاز المواعيد

وبهيمة الأنعام آمم أمثالنا تسبح الله وتحس وتعقل وتتخاطب فيما بينها قال تعالى {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم}، والله هو الذي مكننا منها ووهبها لنا لننتفع بها ونتمتع فكان من شكر الله عليها أن لا نقربها إلا إليه {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} ولذلك يقول الذابح عند ذبحه [بسم الله اللهم منك ولك]، قال تعالى {إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وإنحر} و"الكوثر" الخير الكثير ومنه بهيمة الأنعام فمن شكره جل وعلا عليها أن تتقرب بها إليه عند ذبحها قال الإمام محمد [وقوله تعالى {فصل لربك وإنحر} أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما : الصلاة والنسك ، الدالتان على التواضع ، عكس حال أهل الكفرة والنفرة ، وأهل الغنى عن الله ، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم ، والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر ، أو لسوء ظنهم بربهم .

ولهذا جمع الله بينهما في قوله ((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له)) الآية ، الأنعام : 162 ، 163 ، وقوله ((ونسكي)) هو الذبيحة لله ابتغاء وجهه .

والمقصود : أن الصلاة والنسك ، هما أجل ما يتقرب به إلى الله ، وأجل العبادات المالية النحر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة ، لا يجتمع له في غيرها من العبادات ، كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع في النحر من حسن الظن ، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص .

وقد امتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه ، فكان كثير الصلاة لربه ، كثير النحر له ، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة **(1)** ، وكان ينحر في الأعياد وغيرها ، وفيها : تعريض بحال الأبتر الشانئ ، الذي صلاته ونسكه لغير الله ، وفيها : ترك الالتفات إلى الناس ، وإلى من ينالك منهم ، بل صل لربك وانحر .

ومن فوائدها اللطيفة : الالتفات في قوله ((فصل لربك وانحر)) الدالة على أن ربك مستحق لذلك ، وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له ، والله أعلم] "الدرر السنية : 446/13".

وقد أفرد ربنا جل وعلا (سورة الأنعام) في بيان أحوال شانئي الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الذبح وذكر صور شركهم فيه، فمن ذلك:-

1- الذبح لغير الله أو الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله : قال تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الانعام : 136].
2- قتل الأولاد: ومنه الوأد العصري "الإجهاض" قال تعالى {وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 137].
3- تحريم الأنعام وتحليلها بمحض الذوق بلا حجة من الله ولا برهان: فمن تحرمهم ما أحل الله {وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام 138]، ومن تحليلهم لما حرم الله ما جاء في قوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}.

ومن صور هذا الشرك المعاصرة (مذهب النباتية) التي تحرم ذبح الحيوانات أو أكل لحومها وتبطل حكمة الله من خلقها وتسخيرها، ومنشأ خلل القوم تغليبهم أحد النظر على الآخر: وذلك أن الإنسان مركب من "النفس" و

"العقل" ولكل منهما نظره، والكمال الإنساني إنما يحصل بالموازنة بين الأمرين والإستقامة بين الطريقين والنظر إلى الأمور بكلتا العينين فإن الزيغ إنما يقع بتغليب أحد الطرفين على الآخر حتى يضعفه أو يلغيه، ومثال ذلك: محاولة تقنين أحوال النافس وفلسفة مشاعرها لتحويلها إلى قانون عقلي، والنفس أوسع من العقل فحصر أحوالها في الإطار العقلي مفسد لـ(جمال النفس) و (صحة العقل) معا! ، ومثال ذلك مسألتنا هذه فإن الرحمة بالحيوان في طبيعة النفس السوية من أرقى الأحوال وأكملها وهي في صورتها هذه عبادة ففي الحديث [أنَّ رجلًا قالَ يا رسولَ اللَّهِ : إنِّي لأذبحُ الشَّاةَ وأنا أرحَمُها أو قالَ : إنِّي لأرحَمُ الشَّاةَ أن أذبحَها فقالَ : والشَّاةُ إن رحِمتَها رحِمَكَ اللَّهُ] الهيثمي، وكان عدي بن حاتم الطائي يفت الخبز للنمل، ويقول: [إنهن جارات ولهن علينا حق الجوار] البيهقي، وحديث شكوى الجمل والطير للنبي صلى الله عليه وسلم معروف مشهور، فهذا المعنى في سياقه "النفسي" الواسع من أجمل المعاني الكاشفة عن رقة نفس صاحبها وكمالها، إلا أنه إذا غُلي فيه وتجوز به الحد فأُخرج من هذا الميدان وأريد فلسفته وتحويله إلى معنى "عقلي" فسُد وإنطفأ نور الحق فيه وخرج عن حد الصواب إلى حد السفه، ولذا أنكر العلماء على محمد بن هارون الوراق المعتزلي حين حج ورأى الهدي والأضاحي تنحر فلم يتسع عقله لأحوال نفسه فصنف كتابه [النواح على البهائم] يفلسف فيه حالته النفسيه يريد بذلك تحويلها إلى حالة فكرية وقانون عقلي فكفره العلماء لأجل ذلك وعدوه منه زندقة مع كون هذه الحال -الرحمة بالبهائم- في صورتها الأصلية في ميدان النفس محمودة مثاب صاحبها إلا أن الغلو فيها يخرج صاحبها إلى الكفر وعبادة البهائم من دون الله! ،وشرك مشركي العرب إنما كان من هذا القبيل فإنهم كانوا إذا ركب الراكب منهم ناقة فبلغته مقصوده أو ولدت لهم خمسة بطون أرسل الخامس منها وسيبوه شكرا ووفاء فلا يركب ولا يمنع مرعا ولا حوضا ولا يشرب لبنه ولا يؤكل لحمه وإنما قبح ذلك منهم لما صيروه قانونا فكريا و دينا متبعا يعارض به شرع رب الأرض والسماوات.

4- طلب الحيل للتخلص من النذور: وهو شرك أصغر لأنه إبتداع وهو سنة يهود ودين مشركي العرب، قال الحارث بن حلزة:

عنتا باطلا وظلما كما تعـ
ـنز عن حجرة الربيض ظباء

وذلك أنهم كانوا إذا نذر الناذر منهم ثم بخل بما نذر به قدم مكانه ظباءا يفتدي بها غنمه، وهذا من الحيل على الشرع وهو شرك أصغر.

ويلحق به وإن كان دونه في الرتبة: تقريب الأموال مكان الأضاحي والإكتفاء بالحوالات البنكية للجمعيات المختصة بالأضاحي، فإن ذلك إماتة للشعيرة وإذهاب للمعاني الإيمانية فيها مما يصيرها كصلاة المنافق التي لا خشوع فيها ولا ذكر، والله غني عن الأموال وإنما يناله التقوى {لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم}، فمن فعل ذلك بغير عذر فقد وقع في "نقص الأدب" مع الله وأخل بكمال توحيده.

(1) **لطيفة:** قال محمد بن إسحاق الصيرفي [سألت الزبير بن بكار صاحب جمهرة نسب قريش : منذ كم زوجتك معك؟، قال: لا تسألني! ليس ترد يوم القيامة أكثر كباشا منها ضحيت عنها سبعين كبشا] "تاريخ الخطيب".

- أمثلة :-

	تنديد	تعلق	إلتفات	غفلة
		ذبح التعظيم (الذبح لله بين يدي المعظم)		
				تقريب المال مكان الأضحية
	الذبح للأولياء / التحليل والتحريم (النباتية)	**الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله**	**الحيل للتخلص من النذور**	**نسيان التسمية**
	شرك أكبر	**شرك أصغر**	**البدع**	**نقص الأدب**

نكتة (2)/ مسألة الإكراه في الشرك الأكبر :-

إعلم عصمك الله أن الشرك بالله من جهة الإعذار ليس كغيره من المكفرات فإن الله جل وعلا قد قال {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا}، وذلك أن حجج الله على الناس في التوحيد قد أحاطت بهم وقطعت عليهم كل عذر :

ففي الصلب "ميثاق"، وفي "النفس" آية

وفي "اللب" مصباح، وفي "الأفق" معتبر

وفي "فطرة" الهادي سراج، و "واعظ"

وفي "الرسل" قطع للحجاج مع النذر

ولشدة خطر هذه المسألة إختلف السلف فيمن فعل الشرك مكرها هل يعذر؟، وإذا كان هذا قولهم في "الإكراه" المجمع على الإعذار به في غير الشرك فما ظنك بما هو دونه من الأعذار!، بل إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخشون المؤاخذة على الشرك حتى بعد التوبة منه!! فقد جاء حديث السبعين ألفا الذين حققوا التوحيد [وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا] ومن هنا قال المصنف رحمه الله في مسائل الباب [العاشرة/ معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين].

فإذا عرفت ذلك معرفة قلب فإعلم أن الأصل في (التقية) للخائف هي السكوت وكتم الإيمان كما فعل كثير من الصحابة بمكة، ثم جاءت الرخصة لمن أوذي في الله بسجن او عذاب أو توعد بالقتل أن يعطي المشركين (كلمة) من طرف اللسان يدفع بها عن نفسه وذلك في قوله تعالى {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}، فهل الموافقة بالعمل داخلة في هذه الرخصة أم أن الرخصة إختصت بالقول دون العمل؟ هذا هو محل الخلاف:-

- فقال إبن عباس رضي الله عنه [إنما الرخصة في القول لا في العمل]، وإلى ذلك ذهب الإمام الأوزاعي -وهو الناس في المغازي- فقال [إذا فتن الأسير فأكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فذلك له في القرآن، ولكن ليس له أن يصدق كفره بعمل بسجود لصليب أو وثن أو شرب خمر أو أكل لحم خنزير**(2)**، فإن أرادوه على هذا فليختر القتل ولا يفعل]، وهو رواية عن الإمام أحمد، وأحد القولين في مذهب مالك، وهو ظاهر إختيار الإمام محمد بن عبدالوهاب كما في مسائله على الباب، ويشهد له قوله تعالى {لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا}.
- وفي رواية لأحمد وقول للمالكية أن الرخصة في آية الإكراه عامة ولا مخصص لها فتشمل القول والعمل، قال إبن تيمية رحمه الله [إذا أكره الرجل على ذلك بحيث لو لم يفعله لأفضى إلى ضربه أو حبسه أو أخذ ماله أو قطع رزقه الذي يستحق من بيت المال ونحو ذلك من الضرر: فإنه يجوز عند أكثر العلماء، فإن الإكراه عند أكثرهم يبيح الفعل المحرم كشرب الخمر ونحوه وهو المشهور عن أحمد وغيره، ولكن عليه مع ذلك أن يكرهه بقلبه ويحرص على الإمتناع منه بقدر الإمكان، ومن علم الله منه الصدق أعانه وقد يعافى ببركة صدقه من الأمر بذلك -إلى قوله- وأما فعل ذلك من أجل فضول الرياسة والمال فلا] "الفتاوى: 373/1"، ودرجة الإكراه المعتبر تتفاوت بحسب الأمر المكره عليه فالإكراه على الطلاق ليس كالإكراه على الكفر والإكراه على الكفر ليس كالإكراه على الشرك والإكراه على الشرك بالقول ليس كالإكراه على الشرك بالعمل، ثم يشترط في ذلك كله أن لا يقدر على التخلص منهم إلا بموافقتهم على ما أرادوا يغلب على ظنه إيقاع الأذى به إذا هو لم يفعل.

وهذا كله مما يبين لك عظم خطر الشرك وبالله المستعاذ من الفتن فإن عافيته أوسع لنا.

(2) شرب الخمر وأكل الخنزير هنا ليس على جهة المعصية وإنما هو على جهة إستحلالها فهو (شرك تحاكم) كما سيأتي تفصيله في بابه.

(العبادات العملية: الشرك الأصغر)

10- [باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وحديث :

1- الآية: في مشابهة أهل الباطل في أعيادهم القائمة والإجتماع معهم فيها.
2- الحديث: في مشابهم باطلهم ولو بعد زواله وإضمحلاله.

نكتة (1)/ إجتناب الباطل ومفارقة أهله :-

قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} وتسمى هذه السورة بـ"الإخلاص الثانية" كما تسمى {قل هو الله أحد} بالإخلاص الأولى، لأن أحدهما بينت صفة (الإيمان بالله) والأخرى بينت صفة (الكفر بالطاغوت) وهذان الأصلان هما معنى لا إله إلا الله، قال الإمام محمد رحمه الله [أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:-

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له؛ والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

والمخالفون في ذلك أنواع/ فأشدهم مخالفة: من خالف في الجميع؛ ومن الناس: من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ولم يعاد أهله، ومنهم: من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم: من لم يحب التوحيد ولم يبغضه، ومنهم: من كفرهم وزعم أنه مسبة للصالحين، ومنهم: من لم يبغض الشرك ولم يحبه، ومنهم: من لم يعرف الشرك ولم ينكره، ومنهم: من لم يعرف التوحيد ولم ينكره، ومنهم: -وهو أشد الأنواع خطراً- من عمل بالتوحيد لكن لم يعرف قدره ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم. ومنهم: من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره ولم يعاد أهله ولم يكفرهم؛ وهؤلاء: قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله سبحانه وتعالى، والله أعلم] "الدرر السنية : 22/2"، وفي الحديث [إقرأ {قل يا أيها الكافرون} ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك] رواه أبو داود، فهذه السورة فيها براءة من صور المخالفة للتوحيد التي ذكرها الإمام محمد جميعا.

وسورة الكافرون بينت أن المراد بالبراءة من المشركين ليس هو ترك المعاملة بالإحسان أو مودة الأهل والجيران بل المفارقة في **<u>الدين</u>** وإظهار إعتزال **<u>الباطل</u>** وبغضه وعدم الميل إلهم فيه ولو شيئا يسيرا، فمتى علم أهل الباطل من المرء عدم موافقتهم على شيء من شركهم حصلت منه البراءة ووقع إظهار الدين، وما زاد على ذلك فالأصل فيه البر والإحسان قال تعالى {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، ومن لم يظهر لأهل الباطل إعتزال باطلهم ومفارقتهم فيه لم تحصل منه البراءة ولو سل عليهم السيوف وأجرى منهم الدماء إذ (الولاء والبراء) متعلق بأمور الدين لا أمور الدنيا، ومن هنا ختمة سورة الكافرون بالقاعدة الكلية في هذا الباب {لكم دينكم ولي دين}.

وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام بكونه (لم يكن من المشركين) وسمي ملته بـ[الحنيفية] لميلها عن الشرك وأهله ومفارقتها لهم في باطلهم من كل وجه قال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} قال الشيخ حمد بن

عتيق [فليتأمل العاقل وليبحث الناصح لنفسه عن السبب الحامل لقريش على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وهي أشرف البقاع، فإن المعلوم أنهم ما أخرجوهم إلا بعدما صرحوا لهم بعيب دينهم وضلال آبائهم، فأرادوا منه صلى الله عليه وسلم الكف عن ذلك وتوعدوه وأصحابه بالإخراج، وشكا إليه أصحابه شدة أذى المشركين لهم، فأمرهم بالصبر والتأسي بمن كان قبلهم ممن أوذي، ولم يقل لهم اتركوا عيب دين المشركين وتسفيه أحلامهم، فاختار الخروج بأصحابه ومفارقة الأوطان مع أنها أشرف بقعة على وجه الأرض {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}] "الدرر السنية : الجهاد/199".

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فبين أن المرء لا يكون على الصراط المستقيم حتى يعتزل الباطل ويفارق أهله فيه، وقد أفرد شيخ الإسلام إبن تيمية لهذا الأصل الكبير كتابه [إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم].

نكتة (2)/ مواضع الضرار :-

قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَ **كُفْرًا** وَ **تَفْرِيقًا** بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ **إِرْصَادًا** لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} الآيات، فعلل الله إجتناب هذه المواضع بثلاثة علل متى وجد أحدها في موضع وجب إعتزاله لأنه (موضع ضرار) :-

1 - (كفرا) : إذ أعظم الإضرار هو الإضرار بالدين، وأعظمه "الشرك" و "البدع" ففي حديث بوانه قال عليه الصلاة والسلام [هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟] فسأل عن الشرك، ثم قال [فهل كان فيه عيد من أعيادهم؟] فسأل عن البدع.
2 - (تفريقا) : وهو الإضرار بجماعة المسلمين.
3 - (إرصادا) : وهو التكثير لسواد أهل الباطل وتقوية شوكتهم.

فلا يحقق العبد التوحيد ولو سلم من الشرك وبرء من أهله حتى يفارق مواضع الباطل التي يضار بها الحق وأهله، وكلما كان عنها أبعد كان أكمل توحيد [وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والقاذورات والمزابل] "تفسير القرطبي" قال إبن القيم [حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلى فيه ويذكر اسم الله فيه لما كان بناؤه ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ومأوى المنافقين] "زاد المعاد"، قال إبن تيمية [فدخل في معنى ذلك من بنى أبنية يضاهئ بها مساجد المسلمين لغير العبادات المشروعة من المشاهد وغيرها] "إقتضاء الصراط المستقيم" لتوفر صفة الضرار فيها

وقوله عليه الصلاة والسلام (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) يعم الأماكن والأزمنة والإجتماعات التي هي شعار لأهل الباطل كلها، قال إبن تيمية [العيد يجمع أمورا منها: **يوم** عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها **إجتماع** فيه، ومنها **أعمال** تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقا وكل هذه الأمور تسمى عيدا؛ فالزمان كقول النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة (إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا)، و الإجتماع و الأعمال كقول إبن عباس رضي الله عنه (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)، والمكان كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا قبري عيدا)] "إقتضاء الصراط" فكل مكان أو زمان أو إجتماع أو سنن وأعمال خصها أهل الباطل لباطلهم وجب إعتزالهم فيها، وهذا الإعتزال من الهجرة إلى الله بالتوحيد ورسوله بالسنة بإعتزال مواضع الشرك والبدع.

مسألة/ صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كنيسة بيت المقدس، وبني مسجد إبن عباس في الطائف في مكان اللات بعد هدمها، واللفرق بين هذا وبين الذبح لله في أماكن المشركين: أن الذابح مشابه لأهل الباطل في صورة الفعل فإجتماعه معهم فيه تكثير لسوادهم فمنع منه بخلاف المصلي، بل الصلاة أظهر في مفارقة دين المشركين ولذا جاء عند أبي داود وغيره عن ثمان بن أبي العاص [أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغوتهم] مبالغة في إظهار البراءة منه، قال إبن القيم [كل مكان هذا شأنه وجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له] "زاد المعاد".

ثانيا/ العبادات القولية :-

1- دعاء الشكر والتعظيم : [باب من الشرك النذر لغير الله].
2- دعاء دفع الضر : [باب من الشرك الإستعاذة بغير الله].
3- دعاء جلب النفع : [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره].

فصل (1)/ تجريد التوحيد.

فصل (2)/ ذرائع الشرك "الغلو".

فصل (3)/ الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب".

(دعاء الشكر والتعظيم: النذر)

11- [باب من الشرك النذر لغير الله]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آيتين وحديث في إثبات كون النذر عبادة كالذبح والسجود :-

1- الآية الأولى: ثناء الله على أهله الموفين به.
2- الآية الثانية: قرنه بالصدقة وإثبات الإثابة عليه.
3- الحديث: الأمر بالوفاء به [فليطعه] فدل على الوجوب.

نكتة (1)/ إثبات كون النذر عبادة :-

إعلم رحمك الله أن العبادة [إسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة] "رسالة العبودية"، فكل قول أو عمل ظاهر بالجوارح أو باطن بالقلب جاءت النصوص بالأمر به وصرفه لله وترتيب الثواب عليه او الثناء على أهله فهو عبادة صرفها لغير الله شرك أكبر، ولا فرق في ذلك بين من قصد إتخاذ الشريك ربا أو قصد التقرب لله بإتخاذ الشريك أو قصد غير ذلك قال تعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}.

والأصل في هذا الباب أنه "شرك أكبر" إلا أن من صور الإخلال فيه ما هو دون ذلك:

- كمن ينذر لله عند قبر رجل صالح فإن ذلك "شرك أصغر".
- أو كمن ينذر نذر معصية فإنه "نقص أدب".

و يلحق بـ"نقص الأدب" النذر المقيد الذي يشارط فيه العبد ربه ولذا كان حكمه الكراهة مع وجوب الوفاء به لمن فعله، وهذه الصورة من النذور هي التي جاءت النصوص بذمها لأن المرء فيها يكون أجيرا لم يحقق كمال العبودية بل علق عبوديته على شيء من أمور الدنيا إن أعطيه رضي وإن لم يعط سخط، ثم إن هذا النذر ليس سببا لتحصيل مطلوبه فإن الله يعطي بمنه وكرمه وهو الغني عن خلقه سبحانه؛ قال عليه الصلاة والسلام في النذر المشروط [إنه لا يأتي بخير، إنما يستخرج به من البخيل] فذكر العلتين لكراهته : كونه ليس (سببا)، وكون صاحبه أجير يشارط ربه وهذا إخلال بكمال (النسك).

ولكن لو نذر العبد نذرا مقيدا كأن يقول "إن شفى الله مريضي نحرت شاه" وهو لا يظن هذا النذر سببا، ولم يقله مشارطا وإنما إظهارا للفرح برحمه الله والتعلق به والإفتقار إليه؛ فهذا لا يبعد جوازه بغير كراهة لإنتفاء العلة الواردة فيه، والله أعلم.

فائدة: [نص الإمام مالك رحمه الله على مسائل لها تعلق وصله بهذا النوع من الشرك فمن ذلك:

- نص على أن (من نذر أن يمشي إلى الشام أو إلى مصر أو إلى الربذة أو ما أشبه ذلك مما ليس لله فيه طاعة فليس عليه شيء من ذلك)،وعلل ذلك بقوله (لأنه ليس لله في هذه الأشياء طاعة، وإنما يوفي لله بما له فيه طاعة) "الموطأ" وإنما يكون المشي إلى المواضع التي يرتجى فيها الخير وجاء بها النص .
- ولهذا قال مالك فيمن نذر المشي إلى غير الحرمين والمسجد الأقصى (من قال: عليّ المشي إلى غير هذه الثلاثة المساجد فليس عليه أن يأتيه مثل قوله "علي المشي إلى مسجد البصرة أو إلى مسجد الكوفه فأصلي فيهما أربع ركعات"، قال: فليس عليه أن يأتيهما، وليصلّ في موضعه حيث هو أربع ركعات) "المدونة: 86/2".
- ونص على عدم إنعقاد نذر إتيان ما سوى هذه المواضع، حتى وإن كان من مواضع مكة، والعلة في ذلك عنده والله أعلم كما قال (ليس لله في هذه الأشياء طاعة) "المدونة: 379/2" أي: ليس لله في المشي إليها طاعة
- ومن عنايته وحرصه على سد منافذ الشرك: منع من نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم، مع أنه بداخل المسجد، فلم ير إنعقاد نذره وقال (إن كان أراد القبر فلا يأتيه، وإن أراد المسجد فليأته) ثم ذكر الحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، وبهذا يعلم أن الإمام مالكا رحمه الله لم ير أن هناك موضعا في الأرض له مزية حتى تصرف النذور إليه سوى المساجد الثلاثة كما جاء النص بذلك، وما عداها فلا ينعقد النذر بالمشي إليها حتى وإن كانت من بيوت الله.
- ولم يقتصر الإمام مالك في بيانه على نذر إتيان المواضع فقد نص على أن من نذر أن ينحر جزورا فعليه أن ينحره في الموضع الذي هو فيه فقال (فقلنا لمالك: فإن نذرها لمساكين بالبصرة أو مصر وكان من غير أهل البصرة وأهل مصر؟ قال مالك: نعم، وإن نذرها لمساكين أهل البصرة وأهل مصر فلينحرها بموضوه وليتصدق بها على مساكين عنده) وعلل ذلك بقوله (وسوق البدن إلى غير مكة ضلال) "المدونة: 91/2"] "جهود علماء المالكية في توحيد العبادة: 463-466".

- أمثلة :-

	تنديد	تعلق	إلتفات	غفلة
يقين				
شك				النذر المشروط
بطلان	النذر لغير الله	النذر لله عند قبر رجل صالح	إعتقاد كون النذر سببا	نذر المعصية
	شرك أكبر	شرك أصغر	البدع	نقص الأدب

(دعاء دفع الضر: الإستعاذة)

12- [باب من الشرك الإستعاذة بغير الله]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وحديث :-

1- الآية: في كون الإستعاذة بغير الله تضر ولا تنفع.
2- الحديث: أن التعوذ بالله هو الذي به النجاة الدنيوية والأخروية.

نكتة (1)/ دعاء الجن (المناذير) :-

قال الله تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}، قال الكلبي في كتابه النفيس "الأصنام" [بني مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن وفيهم نزلت { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}]، وقال تعالى { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً} قال إبن جرير [كان الرجل إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه]، وفي فتاوى اللجنة برئاسة الشيخ إبن باز رحمه الله جوابا على سؤال في حكم المناذير -دعاء الجن- [إستعاذة الإنسي بالجني في إنزال ضرر بغيره، وإستعاذتع في حفظه من شر يخاف من يخاف شره؛ كله شرك ومن كان هذا شأنه فلا صلاة له ولا صيام، ومن عرف منه ذلك لا يصلى عليه إذا مات ولا يدفن في مقابر المسلمين] "فتوى رقم 1393/433هـ"، قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا} الآيات.

وداعي الجن مشرك بالله في ربوبيته وألوهيته:

- أما إشراكه في الألوهية فبصرفه الدعاء والخوف والرجاء لهم من دون الله قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} وقال {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.
- وأما إشراكه في الربوبية فإعتقاده إستقلالهم بالنفع والضر ودوام الحضور وسماع الدعاء وكمال العلم و القدرة: فأما دوام حضورهم فإن الله يقول { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ} ويقول { وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} ، وأما علمهم فيقول تعالى { فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} وقد قص الله قولهم {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}، وأما قدرتهم فقال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} وقال {إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} وقال في السحر الذي هو أعظم كيد الشيطان {وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}؛ {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

ومن عقوبة الله للمشرك أن يعذب بما أشرك به وينقلب طاغوته عدوا له في الدنيا والآخرة قال تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} وقال {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ}، فالشرك ليس سببا لرفع العذاب بل هو سبب لزيادته وقد سبق قس باب التمائم قوله عليه الصلاة والسلام [إنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا]، وحصول الإنتفاع أحيانا إنما هو فتنة للمشرك وإستدراج له قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} قال الإمام محمد في مسائل الباب **[الخامسة/ أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر، أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك]** .

مسألة/ الوجود في عالم الغيب ليس له حكم الوجود في عالم الشهادة: فلو فرضنا تيقن رجل وجود الجن معه في مكانه لم تحل له مخاطبتهم ما داموا محتجبين عنه، وسؤالهم شيئا في حال إحتجابهم من جنس سؤال الغائب فهو شرك أكبر، وهذا أصل عظيم زل فيه كثير من الخلق فظنوا أن إثبات الحياة لرجل في قبره أو كونه سامع يعطيه أحكام الحاضر في عالم الشهادة**(3)** قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله [إن جاز التعلق بالأموات جاز أن يستغيث العبد بالحفظة والملائكة الذين هم لا يفارقونهم بيقين، وهذا بل يقوله مسلم أصلا بل لو فعله أحد لكان شركا بالله، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه بل يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها] "مجموعة الرسائل: 385/4".

(3) ومن الطرائف في ذلك قول بعض الفقهاء بطهارة بول الجني لحديث [ذلك رجل بال الشيطان في أذنه] قالوا: لم يؤمر بغسله فدل على طهارته؛ فأعطوا أحكام الشهادة لعالم الغيب!.

(دعاء جلب النفع: الإستغاثة)

13- [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره]

بنية الباب :-

ختم المصنف رحمه الله أبواب الدعاء بهذا الباب الجامع وأورد فيه أربعة آيات وحديث:

1 - الآية الأولى: أن دعاء غير الله شرك.
2 - الآية الثانية: أن الله هو النافع الضار في الدنيا والآخرة.
3 - الآية الثالثة: أن من دونه لا ينفع ولا يضر.
4 - الآية الرابعة: الأمر العجيب! إقرار المشركين بذلك.
5 - الحديث: سد النبي صلى الله عليه وسلم ذرائع الشرك في هذا الباب إحتياطا لأمته.

قال عليه الصلاة والسلام [الدعاء هو العبادة] رواه أحمد والترمذي.

نكتة (1)/ شرك الدعاء :-

إعلم عصمك الله أن شرك الدعاء هو أول مراتب الشرك الأكبر ولذا كان أشد أنواع الشرك إنتشارا وأعظمها فتنة، ومن هنا تكرر ذكره في كتاب الله مبالغة في التحذير منه :-

- فتارة ينص على كونه عبادة كقوله { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.
- وأخرى يسميه دينا {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.
- وتارة يسمي المدعوون آلهة للداعي { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}.
- ثم يصرح ببطلانها {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.
- ثم بكونها شركا {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}.
- ثم ينص على تكفير فاعله { وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن [فإذا عرفت بصحيح المعقول وصريح المنقول أن الدعاء عبادة، وأن مدلوله السؤال والطلب؛ فمن صرف شيئا من العبدة لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في عبادته كائنا من كان] "الرد على إبن جرجيس: 34"، قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ}، قال الإمام محمد في رسالة "ثماني الحالات" [الثامنة/ إن ظن سلامته من ذلك كله، لكن غيره من إخوانه فعله خوفا أو لغرض من الأغراض، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين؟ أو يقول: كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك!].

والدعاء: هو السؤال على جهة التأله بأن يسأل غائبا أو يسأل حاضرا فيما هو من خصائص لله، قال إبن تيمية [فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله او يقول يا سيدي فلا أغثني أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل] "الفتاوى: 395/3".

ولشدة خطر هذا الباب وعموم البلوى بهذا الشرك بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في الإحتياط منه وسد ذرائعه كما في حديث الباب، وكان عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على قطع حبال التعلق بغير الله: فيقول [إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ] الترمذي، وكان عليه الصلاة والسلام يبايع بعض أصحابه على أن ليسألوا الناس شيئا فكانوا إذا سقط سوط أحدهم لا يقول لأحد من الناس (أعطني سوطي) "رواه مسلم"، وكان يقول [من سألنا أعطيناه، ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا] رواه أحمد؛ كل هذا تعويدا لهم على التوحيد وترغيبا لهم في كماله وقطعا لوسائل الشرك وأسباب التعلق بغير الله، [وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ويقولن: أنبياء نحن؟!] "الحكم الجديرة لإبن رجب: 46".

فائدة في أدب التوحيد: روى الإمام مالك في موطئه عن عبدالله بن دينار قال [(رآني عبدالله بن عمر وأنا أدعو وأشير بإصبعين إصبع من كل يد فنهاني) قال إبن عبد البر (هذا مأخوذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بسعد وهو يدعو في صلاته ويشير بإصبعيه جميعا، فنهاه عن ذلك وقال "أَحِّد أَحِّد")، وهو ما أوضحه الباجي عند شرحه لهذا الأثر بقوله (إنما نهاه أن يشير بإصبعين لأن الدعاء إنما يجب أن يكون إما باليدين وبسطهما على معنى التضرع والرغبة، وإما بالإشارة بالواحدة على معنى التوحيد) ونقله الزرقاني مقرا له، وقد ذكر إبن العربي (أن معنى الإشارة بالإصبع في الصلاة والحكمة فيه: أن يستعمل في التوحيد "قلبه" إعتقادا و "لسانه" قولا و "يده" عملا حتى يكون الإستيفاء على العموم)] "جهود المالكية في توحيد العبادة: 424".

فصل (1)/ تجريد التوحيد :-

1- قطع التعلق بالإنس (الصالحين) .
2- قطع التعلق بغير الإنس (الملائكة) .
3- نفي النفع الأخروي عن غير الله (الشفاعة) .
4- نفي انفع الدنيوي عن غير الله (الهداية).

قاعدة في التجريد: إعلم رحمك الله أن الله أثنى على تجريد إبراهيم للتوحيد فقال {إذ جاء ربه بقلب سليم}، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم قلب الموحد فقال [قلب أجرد فيه سراج يزهر] رواه أحمد، فتجريج القلب هو شق كلمة التوحيد الأول (لا إله) والسراج المزهر هو شقها الثاني (إلا الله)، فشقها الأول يجرده وينقيه وشقها الثاني يشرق بشمس التوحيد فيه وكلما كان القلب أجرد كان نور التوحيد فيه أشد وأشرق، قال الإمام محمد رحمه الله [دين النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد: وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل بمقتضاها، فإن قيل: كل الناس يقولونها؟ قيل: منهم من يقولها ويحسب أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله وأشباه ذلك، ومنهم من لا يفهم معناها، ومنهم من لا يعمل بمقتضاها، ومنهم من لا يعقل عقائقها، وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعاداها وأهلها من وجه، وأعجب منه من أحبها وإنتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها؛ فيا سبحان الله العظيم أيكون طائفتان مختلفتان في دين واحد وكلهم على الحق؟ كلا والله {فهل بعد الحق إلا الضلال}] "الرسائل الشخصية: 182".

والمنفيات التي تنفيها كلمة للتوحيد (لا إله) سبعة:-

1- **الآلهة:** والإله كل ما صرف له شيء من العبادات القلبية أو القولية أو العملية قال تعالى { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}؛ والناس مع التجرد من الآلهة على مراتب: فأبعدهم عن تجريد التوحيد أهل الشرك الأكبر الذين صرفوا عبادتهم لغير الله من دعاء وذبح وغير ذلك، وأدناهم منزلة أصحاب الشرك الخفي "الرياء".
2- **الأرباب:** والرب كل ما دعي له إسم من أسماء الله أو خصيصة من خصائصه جل في علاه قال تعالى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا}؛ وللناس في ذلك مراتب: فأشدها الشرك الأكبر كإدعاء علم الغيب لغير الله أو نحو ذلك مما هو من خصائص الله، وأدناه شرك الألفاظ كالتسمي بـ"ملك الملوك" ونحوها من ألفاظ الشرك الأصغر.
3- **الشفعاء:** والشفيع كل من جعل واسطة بين العبد وربه قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ}؛ وأشده الشرك الأكبر الذي يصرف صاحبه العبادة للشافع، وأدناه البدع الشركية التي هي دون الشرك الأكبر كالتبرك ودعاء الله عند قبر الرجل الصالح ونحوها.
4- **الأنداد:** والند كل من جعل بمنزلة الله فعور قول الله بقوله ورد على الله أمره لأجله قال تعالى {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}؛ وأشده الشرك الأكبر وهو رد حكم الله وتكذيب خبر رسوله لرأي أو هوى أو غير ذلك، وأدناه التسوية اللفظيه كقولهم "ما شاء الله وشئت".
5- **الأولياء:** والولاية هي الحب والنصرة وإعتماد القلب، فالولي ما زاحم الله في قلب العبد حبا أو إستنصارا وتوكلا قال تعالى { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}؛ وأشده الشرك الأكبر كعبادة الصالحين وتولي المشركين في الدين ونحو ذلك، وأدناه التعلق بالأسباب ونسبة النعم لفظا لغير الله كقولهم "لولا فلان".
6- **الطاغوت:** وهو كل ما تجاوز به العبد حده فرفعه فوق منزلته بعبادة أو إتباع أو طاعة قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}؛ وأشده تعظيم الطاغوت أشد من تعظيم الله وتقديم قوله على

سنة رسول الله، وأدناه كل شيء يرفعه العبد فوق منزلته الحقيقية فيما دون الشرك كالمبالغة في المدح وإشتغال القلب بشيء حتى يلهي عن ذكر الله ونحو ذلك.

7- **الشيطان:** وهو المعبود الحقيقي لجميع المشركين لأنه الذي زين لهم الشرك فإتبعوه وصور لهم آلهتهم فعبدوها قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}؛ وقال إبليس في خطبته بأهل النار {نِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ويجمع التجرد من ذلك كله قوله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} الآيات.

(التجريد: قطع التعلق بالإنس)

14- [باب قول الله تعالى {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون}]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وثلاثة أحاديث تقطع من القلب كل تعلق بالصالحين:-

1 - الآية: وهي الأصل الجامع في عجز وإفتقار كل من يتعلق به المشركون من الأولياء والصالحين.
2 - الحديث الأول: في كون سيد الأولياء وخاتم المرسلين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.
3 - الحديث الثاني: في كونه لا يضر غيره عليه الصلاة والسلام.
4 - الحديث الثالث: في كونه لا ينفع غيره عليه الصلاة والسلام.

(التجريد: قطع التعلق بغير الإنس)

15- [باب قول الله تعالى {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب حديثين يقطعان كل تعلق في القلب بشيء من خلق الله من الملائكة والجن :-

1 - الحديث الأول: في عجز الملائكة والجن وكمال قدرة الله عليهم.
2 - الحديث الثاني: في عجز وإفتقار سيد الملائكة جبريل عليه السلام.

(التجريد: نفي النفع الأخروي عن غير الله "الشفاعة")

16- [باب الشفاعة]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ست آيات ونقل عن شيخ الإسلام إبن تيمية:-

1 - أن أهل الإيمان ليس لهم من دون الله شفيع.
2 - أن الشفاعة كلها لله وحده.
3 - أن أهل الشرك لا تنفعهم الشفاعة عند الله.
4 - أنه لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه.
5 - أن من أذن الله له لا يشفع إلا لمن رضي الله عنه -أهل التوحيد-.
6 - أن الشفاعة في حقيقتها: فضل الله على الشافع والمشفوع له لا ملك لأحد فيها ولا تصرف.
7 - النقل: وهو تفصيل وشرح للمعاني السابقة لعظم الفتنة في هذا الباب.

(التجريد: نفي النفع الدنيوي عن غير الله "الهداية")

17- [باب قول الله تعالى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب حديثا واحدا بين فيه أن سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه لا يملك نفعا لأحب الناس إليه وأقربهم منه نسبا فكيف بغيرهم.

فصل (2)/ ذرائع الشرك [الغلو] :-

1- الغلو في الأشخاص .
2- الغلو في الأماكن .
3- كون الغلو أعظم أسباب الشرك .
4- إحتياط النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في ذلك.
5- هلاك طوائف من هذه الأمة به.

قاعدة في الطاغوت: إعلم عصمك الله أن "الطاغوت" مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد.

فكل شيء يغلو فيه المرء فيجاوز به حده فقد صيره طاغوتا، والغلو مراتب أدناها مجاوزة الحد في اللفظ نحو قولهم "ما شاء الله وشئت"، وأعلاه [أن تجعل لله ندا وهو خلقك] البخاري، قال الإمام محمد [وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: (الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ)، وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ ورؤوسهم خَمْسَةٌ:

1 - إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ.
2 - وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ راضٍ.
3 - وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.
4 - وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.
5 - وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لا اله إلا اللهُ)] "ثلاثة الأصول".

(ذرائع الشرك: الغلو في الأشخاص)

18- [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وأربعة أحاديث :

1- الآية: في كون الغلو في الصالحين هو سبب ضلال أهل الكتاب.
2- الحديث الأول: في كونه أيضا كان سبب ضلال المشركين.
3- الحديث الثاني: تحذير النبي صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك.
4- الحديث الثالث: إخباره أن الغلو كان سبب هلاك الأمم السابقة.
5- الحديث الرابع: دعاءه عليه الصلاة والسلام على أهل الغلو.

نكتة (1)/ الغلو في الصالحين :-

إعلم بأن الغلو في الصلحين هو مجاوزة الحد الشرعي في حبهم وتعظيمهم وإتباعهم فيما لم يأذن به الله، والغلو فيهم مراتب أربعة:-

1 - الشرك الأكبر: كصرف شيء من العبادة لهم كالدعاء، أو نسبة شيء من خصائص الله إليهم كعلم الغيب والنفع والضر والتشريع ونحوه.
2 - الشرك الأصغر: كالحلف بهم تعظيما لهم قال إسحاق بن منصور [قلت لأحمد بن حنبل: تكره أن يحلف الرجل بعتق أو طلاق أو شيء؟ قال (سبحان الله تعالى!، من لا يكره ذلك؟، لا يُحلف إلا بالله عز وجل)] "مسائل الكوسج: 1777"، قال عليه الصلاة والسلام [من حلف بشيء دون الله فقد أشرك] "رواه أحمد".
3 - البدعة: كالتبرك بذواتهم -أبدانهم وثيابهم ونحوها- وفي مسائل الخلال عن الطيالسي قال [مسحت يدي على أحمد أحمد بن حنبل ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضبا شديدا وجعل ينفض يده ويقول (عمن أخذتم هذا؟!) وأنكره إنكارا شديدا].
4 - نقص الأدب: كالمبالغة في المدح وفي الحديث [إحثوا في وجوه "المداحين" التراب] إبن حبان، بصيغة المبالغة.

تنبيه: "الصالحون" هنا ليس المراد بهم الصالحون عند الله حقيقة بل من يعظمه الناس ويتأسون به ويرفعونه على غيره من الناس لظنهم فيه خيرا، فكل من عورض به أمر الله وتجوز فيه حدود الشرع فهو داخل في (الغلو في الصالحين) وإن كان في نفسه شر الخلق، لأن الناس إنما يعظمونه لظنهم فيه الخيريه في دينه أو عقله أو نسبه أو غير ذلك.

(ذرائع الشرك: الغلو في الأماكن)

19- [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب أربعة أحاديث :

1 - الأول: أن الغلو في الأمكنة سنة أهل الكتاب.
2 - الثاني: لعنهم لذلك.
3 - الثالث: النهي عن التشبه بهم في ذلك.
4 - الإخبار أن من فعله فهو من شرار الخلق.

(ذرائع الشرك: بيان أن الغلو أعظم أسباب الشرك)

20- [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة أحاديث:

1- الأول: بيان كون الغلو هو سبب شرك أهل الكتاب.
2- الثاني: بيان كونه كذلك سبب شرك أهل الإوثان.
3- الثالث: النهي عن البناء على القبور وتزيينها سدا لذريعة الشرك.

وقد كره الإمام مالك أن يقول الرجل (زرت قبر النبي) مخافة أن يفضي ذلك إلى الغلو في المكان وإنما يقول "زرت النبي"، ولأنه من نقص الأدب المخل بكمال التوحيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم [اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد] كما وجهه القاضي عياض رحمه الله، وقال مالك في آداب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم [لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، بل يسلم ويمضي] وقال [ويدنو ويسلم لا يمس القبر بيده] "الشفا" ، قال الطرطوشي [ولا يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يمس، وكذلك المنبر] "الحوادث والبدع" ونقل عن قتادة في قوله تعالى {وإتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} [إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى إخلولق وإنماح] فإنظر إلى ما أفسدت البدع!.

بل كره الإمام مالك التردد على قبر النبي صلى الله عليه وسلم للسلام عليه وعده بدعة لأنه من إتخاذ القبر عيدا ولعدم فعل الصحابه له، وأنظر مزيد تفصيل لهذا الباب في الكتاب النفيس [حجرة النبي صلى الله عليه وسلم تاريخها وأحكامها] للشيخ عبدالرحمن الشثري.

لطيفة: قال يموت بن المزرع [حدثني من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب (لا يغترن أحد بالدنيا، فإن أبي كان يطلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء)، وبحذائه قبر عليه مكتوب (كذب الفاعل الفاعل، لا يظن أحد أنه إبن سليمان بن داود عليهما السلام، وإنما هو حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر)، قال: فما رأيت قبلهما قبرين يتشاتمان].

(ذرائع الشرك: إحتياط النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في ذلك)

21- [باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وحديثين:

1 - الآية: في كون شدته عليه الصلاة والسلام في ذلك من رحمته بأمته وحرصه على دينهم.
2 - الحديثان: في النهي عن كثرة زيارة قبره عليه الصلاة والسلام ونهيه عن التعبد لله عنده؛ وبيانه للبديل الشرعي وهو الصلاة عليه.

فائدة: قالت الدكتورة منيرة المقوشي [أغلب إنحرافات الفرق ومخالفاتهم المتعلقة بالآثار المرئية تعود إلى تفريطهم بالآثار النبوية الحديثية المروية الأمر الذي هو أحد الأسباب الأساسية الناتجة عن إنحرافهم، ومن المعلوم أن القلوب إذا إشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن] "إحياء الآثار".

22- [باب ما جاء في أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة آيات وحديثين:

1- الآية الأولى: في الإخبار بوقوع أهل الكتب قبلنا في الشرك الأكبر.
2- الآية الثانية: الإخبار بوقوعه في اليهود خاصة.
3- الآية الثالثة: الإخبار بوقوعه في النصارى خاصة.
4- الحديث الأول: في إتباع هذه الأمة سنن من كان قبلها.
5- الحديث الثاني: الإخبار بوقوع الشرك فيها مع بقاء إنتساب أهله للإسلام كما فعل اليهود والنصارى.

فصل (3)/ الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب" (الروحانيات) :-

1- السحر الشيطاني .
2- العلوم الحدسية .
3- العلوم الحدسية الباطلة (الكهانة ونحوها) .
4- العلوم الحدسية المحرمة (النشرة) .
5- التعلق بالأسباب الحدسية -الصحيحة أو الباطلة- (الفأل والتطير) .

6- **أحوال الناس مع الأسباب الحدسية (التنجيم).**
7- **شرك الأسباب الحدسية.**

قاعدة في العلوم الروحية: إعلم رحمك الله أن العلوم ثلاثة أجناس: علوم سمعية خبرية، وعلوم حسية تجريبية، وعلوم روحية حدسية؛ قال تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ **السَّمْعَ** وَ**الْأَبْصَارَ** وَ**الْأَفْئِدَةَ** لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} :

1- العلوم السمعية: التي ميزانها النقل وما سواه تبع له لا يلغى بالكلية ولا يجعل هو الأصل فيقدم على النقل الذي هو أصل الباب.
2- العلوم الحسية: وميزانها المشاهدة والتجربة وما سواه تبع له.
3- العلوم الحدسية: وميزانها الذوق والشعور وما سوى ذلك إنما يدخل تبعا لا أصلا.

والعلوم الروحية الحدسية منها المشروع الممدوح ومنها الممنوع المذموم، وهذا الجنس من العلوم يكون مستكنا في النفس مطبوع عليه المرء فإن إرتاضه قوي وظهر وإن تركه بقي خاملا، ومن سنة الله في خلقه أن هذا الجنس من العلوم يضعف في الناس مع تقدم الزمان ويقوى فيهم العلم المادي الحسي ومن هنا جاء في الحديث أن الرؤيا في آخر الزمان تكون كفلق الصبح لا يُحتاج معها إلى تأويل لضعف الناس عن هذا العلم الروحي، ومثله الشعر كما هو مشاهد يضعف في كل زمان عن الذي قبله ويتحول من كونه سليقة وملكة إلى صناعة محضة أي أن جانبه الروحي يضهف ويبقى منه جانبه المادي الصناعي، وكذا الطب يضعف فيه الجانب الروحي والطبيعي ويقوى فيه الجانب الصناعي ولذا نرى أثر الرقية في زماننا أضعف مما كانت عليه فيمن سبق لضعف الناس عنها.

و"السحر" الذي هو مقصود هذه الأبواب بالذات كسائر العلوم الروحية هو أيضا في ضعف ونزول ولا يكاد يبقى منه سوى جزءه الشيطاني -الإستعانة بالشياطين- دون غيره من أنواع السحر الأخرى قال إبن حزم [ومن هذا الباب كانت الطلسمات، وليست إحالة ولا قلب عين ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد والبرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة إذا لاقى الدبرة ضوؤه إذا كانت مدبرتها مكشوفة للقمر.

ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها حرارة ولا يقع فيها برد، و "كسرقسطة" التي لا يدخلها جيش إلا ان يدخلها كرها، وغير ذلك كثيرا جدا لا ينكره إلا معاند.

وهي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وإنقطع من العالم ولم يبق إلا آثار صناعتهم فقط، ومن هذا الباب كان ما تذكره الأوائل في كتبهم في الموسيقى وأنه كان يُؤلَف بين الطبائع ويُنافَر به أيضا بينهما] "الفصل في الملل والنحل".

23- [باب ما جاء في السحر]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آيتين وحديثين وآثار:

1 - الآية الأولى: في كونه كفر محبط للعمل.
2 - الآية الثانية: في كونه "الجبت" وأهله "طواغيت".
3 - الحديث الأول: في كونه من السبع الموبقات.
4 - الحديث الثاني: في كون حده القتل.
5 - الآثار: في قتل الصحابة للسحرة.

نكتة (1)/ تاريخ السحر :-

قال الله تعالى {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

والسحر: خرق لنظام الكون، ولذا كان من أعظم الفساد لإبطاله سنة "الأسباب" التي ركب الله الدنيا عليها، ومن هنا سمي هذا العلم "سحرا" لأن السحر في اللغة هو ما خفي سببه.

وهو مزيج من علوم شتى تتظافر جميعها لنقض نواميس الكون،، وكان إبتداءه في عالم الجن ثم عنهم أخذه الإنس، فللجن سحرة يسمون "الغيلان" كما عند إبن أبي شيبة [ذكرت الغيلان عند عمر فقال: إن أحدا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فأذنوا]، وعلم السحر علم قديم مر بمراحل تطور فيها :

المرحلة الأولى :-

وهي أصل السحر، وهي المفاتيح التي أعطيت للملائكة يعملون فيها بأمر الله ، فلما إسترقت الجن السمع إطلعت على بعضها وفي المستدرك عن إبن عمر رضي الله عنه [إن ملكين من الملائكة هاروت وماروت سألا الله تعالى أن يهبطا إلى الأرض فأهبطا إلى الأرض ، فكانا يقضيان بين الناس فإذا أمسيا **تكلما بكلمات** وعرجا بها إلى السماء ، فقيض لهما بامرأة من أحسن الناس وألقيت عليهما الشهوة فجعلا يؤخرانها وألقيت في أنفسهما ، فلم يزالا يفعلان حتى وعدتهما ميعادا فأتتهما للميعاد ، فقالت : علماني **الكلمة** التي تعرجان بها ، فعلماها **الكلمة** ،

فتكلمت بها فعرجت بها إلى السماء فمسخت ، فجعلت كما ترون ، فلما أمسيا تكلما بالكلمة التي كانا يعرجان بها إلى السماء ، فلم يعرجا فبعث إليهما إن شئتما فعذاب الآخرة ، وإن شئتما فعذاب الدنيا إلى أن تقوم الساعة على أن تلتقيان الله تعالى ، فإن شاء عذبكما وإن شاء رحمكما ، فنظر أحدهما إلى صاحبه ، فقال أحدهما لصاحبه : بل نختار عذاب الدنيا ألف ألف ضعف فهما يعذبان إلى أن تقوم الساعة] فمثل هذه المفاتيح كانت أول سحر الجن.

ثم إنهم زادوا عليها أمورا من الشرك ودعاء غير الله قال إبن عباس رضي الله عنه [أن الشياطين كانوا يسترقون السمع وكان أحدهم يجيئ **بكلمة حق** قد سمعها الناس فيكذب معها سبعين كذبة فيشربها قلوب الناس فاطلع الله على ذلك سليمان بن داود فاخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال لا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لاحد مثل كنزه الممتنع قالوا نعم فأخرجوه فإذا هو سحر فتناسختها الأمم فبقاياها مما يتحدث به أهل العراق فانزل الله عذر سليمان فقال {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر}] "المستدرك".

المرحلة الثانية :-

ثم إن سليمان عليه السلام كان يكتب علوما آتاه الله إياها وأسرارا إختصه بها من نواميس الكون التي كان يدبر بها ملكه وهي مما لا ينبغي لأحدم من بعده، ولذا كان عليه السلام يدفن تلك العلوم تحت كرسيه، ثم إن الجن إستخرجتها بعد موته وزادت عليها كذبا كثيرا قال إبن عباس رضي الله عنه [كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الإسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها! ، فكفّره جهال الناس وسبوه ووقف علمائهم، فلم يزل جهالهم يسبونه حتى أنزل الله على محمد {وإتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان} الآية] النسائي.

ومن أمثله هذه العلوم التي كان سليمان يكتبها: "الرقى" قال إبن مجلز [أخذ سليمان من كل دابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلّي عنه، فزادوا الناس السجع والسحر وقالوا: هذا كان يعمل به سليمان!، فقال الله {وما كفر سليمان}] إبن جرير وإبن المنذر، ومنها أيضا بعض "الأدوية" من أعشاب وزيوت ونحوها من خصائص النباتات ومنافعها ففي سنن سعيد بن منصور [كان سليمان عليه السلام إذا نبتت الشجرة قال: لأي داء أنت؟، فتقول: لكذا وكذا، فلم يلبث أن توفي فكتب الشياطين كتابا فجعلوه في مصلى سليمان فقالوا: نحن ندلكم على ما كان سليمان يداوي به! ، فإنطلقوا فإستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقى فأنزل الله {وإتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان}]، ومن ذلك أيضا "الكلمات" التي أُحضر بها عرش بلقيس من اليمن قال مجاهد [تكلم ذلك العالم بكلام فدخل العرش تحت الأرض حتى يخرج إليهم] إبن جرير.

المرحلة الثالثة :-

ثم إن سحرة الجن زادوا على ذلك كله إعانتهم لأوليائهم من سحرة الإنس بتسخير الشياطين لهم في مقابل صرف العبادة إليهم من دون الله، وهذا القسم من علوم السحر هو أضعف درجاته وهو أكثرها إنتشارا قال تعالى {إن كيد الشيطان كان ضعيفا}.

أما الأنواع السابقة للسحر فهي مما يختص بمعرفته كبار السحرة وأشدهم كفرا بالله وولاية للشيطان وقد جاء في صفة المسيح الدجال [وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت] رواه أبو داود، وفي الحديث المرأة لتي تعلمت سحر هاروت وماروت قالت [فبذرت وقلت: أطلعي! فأطلعت، وقلت: أحلقي! فأحلقت، ثم قلت: أفركي! فأفركت، ثم قلت: أيبسي! فأيبست، ثم قلت: أخبزي! فأخبزت] رواه إبن جرير والحاكم.

الخلاصة: علم السحر مزيج من الأسرار الكونية والأعمال الشيطانية، قال الإمام محمد في فوائده على آية السحر [الثامنة والعشرون/ أن السحر نوعان] "مجموع المؤلفات: 23/5"؛ فما كان منه من المفاتيح الغيبية فإن الله حجبه عن بني آدم وحرمه عليهم لأن علمهم به يضرهم ولا ينفعهم ويفسد نظام الكون قال تعالى {ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم}، وما كان منه من الأعمال الشيطانية والتعاويذ الشركية فأمره أظهر، وكلاهما كفر وشرك قال إبن خلدون [ولما إختلف الفقهاء في قتل الساحر إختلفوا: هل هو لكفره السابق على فعله -تقربه للشياطين- أم لإفساده في الأكوان؟ والصواب أن الكل حاصل منه] "المقدمة"، فكل من المفاتيح الغيبية والأعمال الشيطانية كفر إما من جهة "الأسباب" أو من جهة "العبادة" قال إبن خلدون [وأما الشريعة فلم تفرق بين بين السحر والطلاسم والتعوذة وجعلته كله بابا واحدا محظورا، لأن الشرع إنما أباح لنا ما يهمنا في ديننا وما فيه صلاح آخرتنا وصلاح دنيانا، وأما السحر فإنه ضرر والطلاسم والنجامة، وأعظم ضرر لها إفسادها للعقائد الإيمانية بردها الأمور إلى غير الله، فيكون هذا الفعل محضورا و (من حسن إسلام المرء تركيه مالا يعنيه)؛ فجعلت الشريعة باب السحر والطلاسم والشعوذة بابا واحدا لما فيه من الضرر وخصته بالتحريم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] "المقدمة".

نكتة (2)/ حقيقة الأعمال السحرية :-

إعلم أعاذك الله أن أصل السحر وحقيقته قوة نفسية خبيثة متى مُدت بقوى علوم السحر وقوى الشياطين أثرت في المسحور، ومن هنا كانت الرقية التي تقوم له في أصلها قوة نفسية طيبة متى مُدت بقوى الكلام الطيب وقوة الإيمان كانت أقوى على دفعه وإبطاله.

فكل من السحر والرقية في أصله خصائص نفسية تقوى بالعلم والرياضة [وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص، وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في صنف آخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها:

- فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لها خاصية تستعد بها للإنسلاخ من الروحانية البشرية إلى الروحانية الملائكية حتى يصير ملكا في تلك اللمحة التي إنسلخ فيها، وهكا هو معنى الوحي كما مر، وهي في تلك الحالة محصلة للمعرفة الربانية ومخاطبة للملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى وما يتبع ذلك من تأثير الأكوان.
- ونفوس السحرة لها خاصية التأثير في الأكوان وإستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية.

فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهي وخاصية ربانية، ونفوس الكهنة لها خاصية الإطلاع على المغيبات بقوى شيطانية؛ وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر] "المقدمة"، قال تعالى {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ **يُوحِي** بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} فسماه وحيا لتشابه عملية الكشف عن المغيبات مع النبوة -كرم الله أهلها- وإن كانت النبوة نورانية ربانية والسحر والكهانة نيرانية شيطانية .

وقد قال عليه الصلاة والسلام في ذكر مراتب الوحي الإلهي [أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وَهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ ثُمَّ يَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ، وَأَحْيَانًا مَلَكٌ في مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ فأعِي ما يقولُ] متفق عليه، ففي الحالة الأولى تُشاكل نفس النبي صلى الله عليه وسلم نفوس الملائكة ولذا قال (فيفصم عني) أي أنه يكون فيه نوع إلتحام بسبب شدة المشاكلة والمقاربة، وفي الثانية تُشاكل الملائكة نفوس البشر.

وفي الوحي الشيطاني ينسلخ الساحر من حاله البشري إلى حالة شيطانية يتمكن بها من التأثير في المسحور بقوة نيته ونفثه قبل حتى أن يستعين بالجن بل الجن هي التي تستعين بقوة نفسه الخبيثة وتتقوى بها على المسحور وهو يتقوى بهم قال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم}، وهذا النوع من السحر هو أشد أنواع السحر ضررا على المسحور وهو الذي يسمى بـ(السحر الأسود) وهو من جنس الإصابة بالعين إلا أنه أشد منه قال إبن خلدون [رأينا بالعين من يصور صورة الشخص المسحور بخواص مقابلة لما نواه وحاوله، ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام شخص المسحور عينا، ثم ينفث من ريقه بعد إجتماعه في فمه بتكرير ومخارج حروف معينة من كلام السوء، ويعقد على ذلك المعنى الذي أعده تفاءلا بالعقد واللزام، وأخذ العهد على من أشركه من الجن، وإستشعار العزيمة بالعزم؛ ولتلك البنية والأسماء روح خبيثة تخرج مع النفث حتى يقع ما يريد إيقاعه بالمسحور] ثم ذكر أخبارا عجيبة للقوم، ومن هنا كان حد الساحر القتل لأنه نفس خبيثة.

والقصد أن السحر في أصله خصائص نفسية يُجبل عليها الإنسان فإن أمدها بالشر قويت وتشيطنت، حتى إذا إكتمل فجوره تحكم بها وملك أمرها كالعين يمدها العائن بالحسد حتى يملك أمرها ولو دافها بالتزكية إنطفأت عنه، وفي خبر هاروت وماروت مع المرأة أنهما أمراها أن تتبول في البئر فلما خرج منها الإيمان تشيطنت نفسها فقدرت على السحر.

والحاصل أن السحر أنواع ثلاثة :-

1- سحر بالنية والشيطنة النفسية.
2- سحر بالطلاسم والأسرار الكونية.

3- الإعانة الشيطانية والحيل والشعوذة.

فمتى إجتمع للساحر : الإستعداد الشيطاني، والعلم الصناعي -الطلاسم-، والإتصال الشيطاني؛ حصل التأثير، ومراتب السحرة إنما تتفاوت لتفاوتهم في هذه الأمور الثلاثة.

تنبيه: إعلم أن السحر يأتي على هيئات كثيرة قد يغر بعضها الجاهل "دينية" و "فلسفية" و "علمية" و "نفسية" حتى صار اليوم "لُعب" بأيدي الناس قال الذهبي [فترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراما فقط وما يشعرون أنه كفر: فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها وهي محض السحر، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو السحر، وفي محبة الرجل للمرأة وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شك وضلال] "الكبائر"، وقد أدخل أهل السحر إلى هذه الصناعة علوما كثيرة خارجة عنها تزيننا لها في أعين الناس أو ترهيبا لهم قال الشيخ حمود التويجري [السيمياء تشتمل على أنواع من السحر: منها النواميس، والمخاريق، والتدخينات، والتعافين، والمراقيد، والإخفاءات، والطلسمات، والنيرنجات وغير ذلك، وقد ذكر بعضهم أنها تبلغ ثلاثين بابا كلها من السحر] "غربة الإسلام: 606" ثم فصلها، والقصد أنهم أدخلوا إلى صناعتهم أجناسا مختلفة من العلوم والحيل التي تتفاوت أحكامها كعلوم الطب والنباتات والفلسفة والخرافات والشعر والسجع والنميمة وغير ذلك مما يعينهم على التحكم في الناس والتسلط على ما في أيديهم، وإستعمال أهل السحر لهذه العلوم وممارستهم لهذه الأفعال لا يلزم منه أن تأخذ حكم السحر الشيطاني وإنما ينظر إلى كل واحد منها إستقلالا.

لطيفة: من عظيم فقه الشيخ التويجري رحمه الله أنه ألحق بعلوم السحر علم (صناعة السينما) لأن مبناها التخييل وتأثيرها كالسحر أو أشد [فمن ذلك أنهم يمثلون فيها ساحة القتال حين يلتقي الجمعان ويتقابل الصفان فيتبارز الشجعان ويتصاول الأقران ويصيح بعضهم ببعض ثم يختلطون فيتضاربون بالسيوف ويتطاعنون بالرماح وأنواع الأسلحة ويجندل بعضهم بعضا ما بين قتيل وما بين جريح متضمخ بدمائه يئن مما به، ويمثلون فيها أيضا من التخييلات المكذوبة ما يدهش الناظرين كالرجل يقتلع النخلة العظيمة فيحملها على عاتقه ومالرجل يحمل الصخرة العظيمة التي لا يطيق حملها الجماعة من الناس، إلى غير ذلك من المخاريق والتمويه والشعوذة الهائلة التي لم يصل إليها سحرة فرعون ولا غيرهم، ومن ذلك أنهم يمثلون فيها السحاب والبرق والرعد والصواعق ونزول المطر من السماء وغير ذلك من الأشياء التي تعجز عنها القدرات البشرية؛ وبالجملة فينبغي عد "السينما" من أعظم أنواع السحر التخيلي لأن جميع ما يأتي به أهل السحر التخييلي يمكن الإتيان به فيها وزيادة] "غربة الإسلام: 610".

ومما يلحق بذلك أيضا بعض أنواع الهندسة والصناعات العجائبية الحديثة التي تدهش الناظر إليها، فإن الهندسة من علوم الجن قال تعالى عن جن سليمان {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ} وقد بنوا له الصرح الممرد من قوارير، وقد جاء أن سحرة فرعون كانوا يحشون حبالهم وعصيهم بالزئبق ومواد أخرى لتتلوى وترهب الناظر وأنظر في ذلك إن شئت [المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار] لعبدالرحيم بن عمر الدمشقي الجوبري، فهذه العلوم كلها مما تمد به الشياطين أولياءهم من السحرة ليستعينوا به على إحكام أسحارهم وهي علوم دخيلة على السحر ليست من أصله ولذا لم تأخذ حكمه وإن صدق عليها إسمه إذ السحر لغة ما خلفي ولطف مأخذه، وهذا الإسم يصدق على (العلوم الحدسية) كلها كما سيأتي تفصيله كما يصدق على بعض (العلوم الحسية) كما سبق لأن في أسبابها نوع خفاء ودقة ولطف بحيث لا يبصرها كل أحد.

24- [باب بيان شيء من السحر]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب خمسة أحاديث:

1 - التطير.
2 - التنجيم
3 - السحر الشيطاني.
4 - البيان المذموم .
5 - البيان الممدوح.

نكتة (1)/ العلوم الحدسية :-

إعلم رحمك الله أن من شؤم البدعة إفسادها للعلوم قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ}، ومن أجل العلوم التي دخلها فساد أهل البدع (علوم التوسم) التي أجخل عليها أهل البدع الشرك والخرافة ومزجوا صحيحها بباطلهم حتى غلب ذلك على كثير منها فأفسدها بالكلية قال تعالى {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} وفي مقدمة صحيح مسلم عن أبي إسحاق قال [لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي رضي الله عنه قال رجل من أصحاب علي قال قاتلهم الله أي علم أفسدوا].

وعلوم التوسم أجناس كثيرة منها ما هو صحيح الأصل ثم لحق به الفساد ومنها ما هو بازل بالكلية، ومرادنا بعلوم التوسم (العلوم التي تعنى برصد الإشارات الدقيقة للإستدلال بها على خفايا الأمور)، وذلك أن العالم له نظامها المادي الذي يدرك بالحس -البصر- ونظامه السنني الذي يذرك بالحدس -البصيرة- قال تعالى {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} وفي حديث جبريل المشهور [قال: متى الساعة؟، قال عليه الصلاة والسلام (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: فأخبرني عن أماراتها؟] فدل على أن من سنة الله في خلقه أن كل حدث يقع في الوجود تُجعل له أمارات تسبقه تدل عليه يدركها أهل البصائر، وقد ذم الله أقواما بإنحصار علومهم فيما يبصرون دون ما تدركه البصائر فقال {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

وعلوم التوسم جميعها لها شقين (ذوقي) و (صناعي) :-

1- الصناعي: الذي يعنى بالحدث نفسه وأماراته، فمن ذلك أنهم يشترطون في "الحدث" أن يكون غير إعتيادي وفي "علاماته" أن تكون أول ما يبده وأن تكون مشهدا ملفتا، والشق الصناعي من علوم التوسم راجع إلى [قاعدة الأسباب] وإن كانت أسبابه سننية لا مادية -تأثيرها في الحدث مباشر- فما كان منها قوي الدلالة فالإستدلال به مشروع وما كان منها ضعيف الدلالة فالإستدلال به ممنوع.

2- الذوقي: وهو طبائع نفس الإنسان التي تهيؤه لإستقبال هذه الإشارات والعبور من خلالها إلى ما وراءها، فهي جبلة نفسية وطبيعة روحية متى صقلت بالتعلم وقويت بالرياضة. أحكمت العلوم الحدسية وكشف عنها الغطاء كما جاء في وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه [كأنه ينظر للغيب من غشاء رقيق]، وقوة المرء في بعض هذه العلوم دون بعض سببه موافقة هذا النوع من العلوم الحدسية لصفاته النفسية وطبائعه الروحية، والخصائص النفسية تورث كما تورث الصفات البدنية ولذا كان أبناء السحرة أقدر على السحر من غيرهم وكان العرافة مشتهرة قبائل الأزد أكثر من غيرها والقيافة في بني مدلجة وإمرؤ القيس نزعه في الشعر عرق من خاله المهلهل.

فائدة: الإيمان يقوي الخصائص النفسية لأنه يزيد الإحساس الروحي عند الإنسان فيشعر بذلك بما لا يشعر به غيره وفي الحديث [لو بقيتم على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات] وقال عليه الصلاة والسلام [إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله] وفي الأثر [ما من عبد يُخلص لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه] وعند إبن أبي الدنيا [من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه] "ذم الدنيا" فإن العبد متى فرغ قلبه من الإشتغال بالأمور الحسية قوي عنده الجانب الحدسي.

أركان العلوم الحدسية: لعلوم التوسم أركان أربعة :-

1 - حس مرهف وتهيؤ نفسي وإستيفاز للحدس: فليست هي علوم صناعية محضة بل هي أولا طبائع نفسيه وملكات ولذا قالت العرب في وصف الشاعر [عروق الناس تحت جلودهم، وعرق الشاعر فوق جلده] وذلك لشدة تحسسه وقوة إنفعاله.

2 - ذكاء وإرتياض: وذلك بدوام الفكرة وطول التتبع والإستقراء وضم النظائر وربط القرائن وعدم الوقوف على الأشياء وقوفا ظاهرا لا يفتش في بواطنها والمرور عليها مرورا سريعا لا وقوف عندها .

3 - لمة الملك أو لمة الشيطان: وفي الحديث [إنَّ للشَّيطانِ لمَّةً بابنِ آدمَ وللملَكِ لمَّةً فأمَّا لمَّةُ الشَّيطانِ فإيعادٌ بالشَّرِّ وتَكذيبٌ بالحقِّ وأمَّا لمَّةُ الملَكِ فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ فمن وجدَ ذلِكَ فليعلم أنَّهُ منَ اللهِ فليحمدِ اللَّهَ ومن وجدَ الأخرى فليتعوَّذ باللَّهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ثمَّ قرأ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ الآيةَ] الترمذي؛ فمثال لمة الملك قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان [اهْجُ المُشْرِكِينَ؛ فإنَّ جِبْرِيلَ معكَ] البخاري، ومثال لمة الشيطان قوله تعالى {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} فالشعر منه ما هو لمة ملك ومنه ما هو لمة شيطان وضابط ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (إيعاد بالشر وتكذيب بالحق) أو (إيعاد بالخير وتصديق بالحق).

4 - العلم الصناعي: وهو الجانب المادي للعلوم الحدسية بمعرفة مسائلها وضبط قواعدها وفك رموزها، وهذا كله لا ينفع صاحبه إلا بتوافر الأركان الثلاثة السابقة وإلا كان خبطه في هذه العلوم خبط عشواء يصيب مرة ويخطئ مرات ولذا قال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه [من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه] أي من لم يكن لها هذا "الاستعداد النفسي" و"الذكاء والرياضة" و "لمة الملك" لم ينفعه علمه بالجانب الصناعي من هذه العلوم.

فائدة: من كمالات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه إستوفى أركان العلم الحدسي الأربعة: فأما رقة الحس وقوة الحدس فقال فيها إبن عمر [ما قال عمر لشيء أظنه كذا إلا كان كما قال]، وأما الذكاء والرياضة فقال فيها رسول الله [لم أر عبقريا يفري فريه]، وأما لمة الملك فقال فيها عليه الصلاة والسلام [إنه كان فيمن كان قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر]؛ ولذا كان رضي الله عنه إماما في هذه الجنس من العلوم وله فيه عجائب لا يخلو من ذكرها كتاب من كتب العلوم الحدسية، وأعظم ما يكشف منزلة عمر بن الخطاب في هذا الباب (موافقاته للوحي) كما قال رضي الله عنه [وافقت ربي في ثلاث] مسلم، وقد عد بعضهم لعمر بن الخطاب عشرين موافقاة للوحي .

أنواع العلوم الحدسية: هذا الجنس من العلوم يدخل تحته أنواعا كثيرة منها ما هو حق محض كتعبير الرؤى والفراسة والشعر، ومنها ما هو مشتمل على الحق والباطل كالعرافة والتطير ونحوها وقانون الشرع في الأمور المختلطة أن يجعل الحكم للأعم الأغلب فما لب عليه الشر حرم وإن اشتمل على بعض الحق وما غلب عليه الخير شرع قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا} ومن هنا حرمت الكهانة قال عليه الصلاة والسلام في مسترق السمع [فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فيُلْقِيها إلى مَن تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيها الآخَرُ إلى مَن تَحْتَهُ، حتَّى يُلْقِيَها علَى لِسانِ السَّاحِرِ أوِ الكاهِنِ، فَرُبَّما أدْرَكَ الشِّهابُ قَبْلَ أنْ يُلْقِيَها، ورُبَّما ألْقاها قَبْلَ أنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ معها مِئَةَ كَذْبَةٍ] البخاري.

فمن العلوم الحدسية:-

- **أولا/ الفراسة:** وهي أم الباب وأصل العلوم الحدسية، وأصل الفراسة معرفة طبائع الخُلُقية عن طريق الصفات الخَلقية، وهو من علوم العرب خاصة والناس فيه تبع لهم انظر في ذلك [فضل العرب والتنبيه على علومها] لإبن قتيبة، وهو علم قائم على الإستقراء ولأهله أصول يستعينون بها فمن ذلك:
  ربط هيئات الناس بما يشبهها من هيئات الحيوان لأن التشابه في الشكل علامة على المشابهة في الطبع وفي كتاب الله {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}.
  وقياس الطبائع على الأرض وصفاتها قال تعالى {مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ} فمن الناس من له طبائع جبلية فيها حدة وصلابة وقوة ومنهم من له صفات السهول من السعة والتبسط ونحوها وهكذا، وهذه الصفات تكون في الإنسان من أحد وجهين : طول السكنى في أرض هذه صفتها وتتابع الأجيال على ذلك حتى تنصبغ النفوس بطبائعها قال إبن تيمية [في الحديث الصحيح (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها) وكان كما أخبر فبلغ ملك أمته عليه الصلاة والسلام طرفي العمارة شرقا وغربا، وإنتشرت دعوته في وسط الأرض لأنهم أكمل عقولا وأخلاقا بخلاف طرفي الجنوب والشمال فإن هؤلاء نقصت عقولهم وأخلاقهم وإنحرفت أمزجتهم، أما طرف

الجنوب فإنه لقوة الحرارة إحترقت أخلاطهم فإسودت ألوانهم وتجعدت شعورهم، وأما أهل الطرف الشمالي فلقوة البرد لم تنضج أخلاطهم بل صارت فجة فأفرطوا في سبوطة الشعر والبياض البارد الذي لا يستحسن؛ ولهذا لما ظهر الإسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم أعدل بني آدم وأكملهم] "الجواب الصحيح: 1/ 164" وإما أن يكون المرء خلق من تربة أرض هذه صفتها فجبل على طبائعها ففي الحديث [اللهَ خلَقَ آدمَ مِن قبضةٍ قَبَضَها مِن جميعِ الأرضِ ، فجاءَ بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ : جاء منهم الأحمرُ ، والأبيضُ ، والأسودُ ، وبينَ ذلك ، والسَّهْلُ ، والحَزْنُ ، والخبيثُ ، والطيِّب] أبو داود؛ ومن جمع بين الأمرين -الطينة والسكنى- بلغ في هذه الطبائع أشد مبلغ.

فائدة: عد "مايكل بيهي" في كتابه [صندوق داروين الأسود] علم الفراسة من الحجج على الملحدين في إبطال نظرتهم المادية للكون إذ ليس له تفسير سوى علم الله السابق وحكمته وتمام قدرته قال تعالى {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ}، قلت: وكذلك سائر العلوم الحدسية مبطلة لدعاوى الماديين فهي من حجج التوحيد.

- **ثانيا/ العبارة:** وهي العبور برموز الرؤيا إلى علم الغيب للكشف عن بعض أسراره، وهو أشرف العلوم الحدسية ولذا كان جزءا من النبوة وهو أشهر العلوم الحدسية وأصحها وأبلغها حجة على المشركين لأنها تقيم لهم الحجة من أنفسهم على كمال علم الله وقدرته بما يعجزون عن دفعه قال تعالى {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه للحق}.

  ومن عجائب هذا العلم: أن الله يعطي كل إنسان من الرموز في رؤياه ما يليق بعقله**!** ولذا تجد الرموز في رؤى العجم أكثر سذاجة ووضوحا حتى تكاد تكون كفلق الصبح ظهورا وذلك لضعفهم عن الغوص في المعاني فإن من يقارن لغات العجم بلغة العرب يرى الفرق بين العقول في دقة النظر وعمق المعاني وقوة الإبانة، واللغات مرآة عقول الأمم وطبائعهم.

- **ثالثا/ العرافة:** وهي من جنس تعبير الرؤى غير أن رموزها تقع في اليقظة لا في المنام، فالعارف يرى المشهد أمامه أو يُقص عليه فيحل رموزه بحس وحدس كما يفعل العابر مع الرؤيا يراها أو تقص عليه، ويقع للعارف ما يقع للمعبر من الصواب والخطأ، وهذا العلم قائم على أصل صحيح وهو أنه ما من حدث غير معتاد يقع إلا ومن سنة الله أن يجعل له علامات تسبقه تدل عليه، وهذه العلامات تتفاوت قوة ظهورها بحسب عظم الحدث الذي تدل عليه وقرب وقوعه أو بعده، و (علامات الساعة) أصل في ذلك.

  وأعرف العرب "بني لهب" من الأزد وأخبارهم فيه مشهورة قال كثير عزة :

  تيممت لِهبا أبتغي العلم عندهم
  وقد رد علم العارفين إلى لهب

وقد سألهم عبدالمطلب عن ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه حين ولد وقع على يديه فقبض الأرض ورفع رأسه إلى السماء فقالوا [سيملك الأرض بسبب من السماء]، والأزد قبيلة تمتاز من بين قبائل العرب بأمرين جعلاها من أقدر القبائل على العلوم الحدسية: رهافة الحس، وقوة الحدس؛ أما رهافة الحس فقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم [أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية] البخاري، وأما قوة الحدس فقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم [حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء] "معرفة الصحابة" لأبي نعيم؛ ومن هنا كان

شعرهم من أجود الشعر وتصريفهم للكلام لا يقدر عليه أحد فإن الله ألان لهم الكلام كما ألان لداود الحديد وفنونهم في السعر لا يشركهم فيها أحد وهم يشركون غيرهم فيما عندهم.

والمشهد الذي يراه العارف أو يُقص عليه قد يكون لا زجر له كالحلم الذي لا تأويل له، ومن هنا يضبط أهل العرافة المشهد الذي يعبر بأمور منها :

1 - أن يكون أول ما يبده.
2 - أن يكون غير معتاد.
3 - أن تكون له رموز ظاهرة.
4 - وعندهم أن العراف إذا كان أول مشهد رآه في يومه معتادا لم يكن في ذلك اليوم زجر.

وكل ذلك إنما تحصل عندهم بالإستقراء والقياس على علم تعبير الرؤى، وعلم العبارة من علوم الحدس التي وقع فيها خلط كبير ودخلها الدجاجلة فأفسدوا كثيرا منها بالشرك والخرافة حتى صار لفظ العرافة إذا أطلق لم نصرف عند أكثر الناس إلا على السحة والدجالين.

- **رابعا/ الكهانة :** وهي علم شيطاني محض تتشاكل فيه أرواح الكهان مع أرواح الشياطين فيتراءون لهم ويحدثونهم بالأخبار يمزجون فيها الصدق بالكذب فيصدق الناس كذبهم ببعض صدقهم، والكهانة أشبه شيء بالسحر بل هي جزء منها فكل ساحر كان ولكن ليس كل كاهن ساحر، وهي تشبه العرافة من جهة الكشف عن بعض المغيبات ولذا يخلط الناس بين الكاهن والعراف، وبينهما فروق :

1- طريقة الإستدلال على الغيب: فالعراف إنما يستدل بالرموز القدرية ، والكاهن إنما يتلقى الخبر عن الشياطين.
2- العرافة علم يُتعلم أما الكهانة فهي طقوس شركية وولايات شيطانية.
3- أخبار العرافين يستدل بها على شدة ذكاء أهلها وصحة أذهانهم بخلاف أخبار الكهان فإنها لا تفيد ذلك إذ هي أخبار شيطانية.
4- العرافة علم صحيح فيه حكمة وأسباب ظاهرة أما الكهانة فليس فيها سبب ظاهر تبنى عليه، ولذا يكثر الكهان من الزمزمة والأسجاع والشعبذات ليلبسوا على الناس ويسترهبوهم إذ لا حجة لهم على ما يقولون.

فائدة: سميت "التراجم" بذلك لأن العرب كانت تعمد في جاهليتها إلى الكهان فتدفع إليهم أسماء من شاءت ثم تطلب منه أن يكشف لها عن سيرت وأحوالهوتتكهن ببعض أقداره رجما بالغيب فسميت هذه المعلومات (تراجم)، ثم صارت فنا مستقلا عند أهل العلم يعمدون فيه إلى الأعلام فيجمعون سيرهم وأحوالهم.

- **خامسا/ التطير:** وهو علم يراد به ترجيح إحدى كفتي الشك وتطييب النفس فيما يقدم الإنسان عليه، وهي جنس من العرافة غير أنها ضعيفة الدلالة كثيرة الوهم فكانت بذلك مدخلا للشيطان على قلب العبد للتحزين والتخويف وتعليق القلب بغير الله فحرمها الشرع، وفرقها عن العرافة:

1- أن العرافة هي النظر في العلامات التي لها نوع ظهور وقوة دلالة، أما الطيرة فإنها تتبع للأوهام والعلامات الضعيفة.

2- أن العارف يشترط في المشهد أن يبدهه وأن لا يكون معتادا، أما المتطير فإنه يتكلف معاني المشهد في نفسه أو يستثيره خارجها بأن يزعج الطير أو يذعر الظبي ونحوه فإذا تيامنت يستبشرون وإذا تياسرت تشاءموا ولذا كان علما متكلفا ضعيف الدلالة أشبه بحديث النفس في الأحلام.
3- أن العرافة كالرؤيا إنما هي خبر لا تفيد حكما ولا علما، أما الطيرة فهي ما أمضاك أو ردك.

وأصل الطيرة كان إعتبار سلوك الطير لإستشعار عواقب الأمور، وذلك أن العرب وجدت أن الطيور والظباء هي أرهف الحيوانات حسا، حتى كانوا يسمون الحمام [إنس الطير] لشدة ذكائها وقوة حدسها حتى أنك تراها تستشعر المطر ويجفلها الخطر قبل سائر البهائم، فأرادت العرب أن توظف هذا السلوك في محاولة إستجلاء الغيوب وإستشفاف عواقب الأمور فكانت إذا همت بأمر إستثارت الطير لتراقب سلوكها، إلا أن هذا النوع من التفرس ضعيف الدلالة كثير الأوهام موهن للعزائم فمتعه الشرع جريا على [قاعدة الأسباب] فالشرع يمنع التعلق بالأسباب الضعيفة لأنها مفسدة للتوكل معطلة للمصالح وهي مدخل لتخويف الشيطان وتحزينه، والبديل الشرعي لذلك هو التوكل والأخذ بالأسباب الصحيحة شرعا وقدرا والإستخارة والإستشارة.

ولا يعني ذلك أن التطير كله باطل لا صواب فيه بل قد يصيب صاحبه أحيانا كما يصدق الكاهن مرة ويكذب ألفا، ولما كان علم ضعيف الدلالة قرنه النبي صلى الله عليه بالكي في حديث السبعين ألف، ومن أمثلة صدق تطير المشركين أحيانا ما وقع لشريف الحجاز حين بعث سرية إلى عسكر التوحيد (إخوان من طاع الله) فلما نزلوا أبطح مكة لقوا في طريقهم مجنونا فقالوا : يا فلان أيش فالنا؟ فقام يحجل على رجل واحدة ويقول:

هذا طريح وهذا يُجر
وهذا يُدلى في الحفر

فرجع منهم ثلاثون وأقدم تسعون رجلا قتلوا جميعا على يد أهل التوحيد.

فائدة: تقول العرب [خذ الحكمة من أفواه المجانين] فإنهم لضعف إتصالهم بالأمور الحسية يقوى عندهم الجانب الحدسي فربما إنكشفت لهم بعض المعارف الحدسية أحيانا ونطقوا بالحكمة وهم لا يشعرون، والعجم يتكلفون ذلك من المجانين كما يتكلف أهل التطير ذعر الطير ولذلك قلما يصيبونه منهم فإن شرط هذا العلم أن تبدهك علاماته بنفسها كالرؤيا يرسلها الله للرائي فإن تكلف ذلك كان ما يراه حديث نفس وأضغاث أحلام.

ومن ذلك أيضا ما وقع لعسكر الشريف في معركة الحلو حين نام بعضهم فوجدوا حرا في أقدامهم فقالوا والله إنها الهزيمة والفرار فكان كما قالوا، والعامة تزعم أن من بدهه حر في كفه انه يقبض مالا أو يناله خيرا يومه ذاك، ومن حبى من غير قصد يرزق بضيف يومه ذاك، وما قالوه إلى "الفأل أقرب وسيأتي.

لطيفة: أورد أبو حيان في [أخبار الوزيرين] قصيدة أبو عبدالله الحسين بن علي النميري يصف فيها حاله عند السفر ووداعه بناته :

لما نهضت إلى الرجا ** وحنّت البيض الكواعب
وتناثرت عبراتهـ ** ـن علي كالدرر الثقائب
ندّى يديّ وحُلتي ** دمع الأحبة والحبائب
فجعلته فألا وقلت ** ندى الدموع ندى المواهب
ولئن تلافتني يد الأ ** ستاذ من أيدي النوائب

وأقمت في الظل الظليـ ** ولم تشعبني الشوائب
ليبشرن أحبتي ** بمواهب شتى المواهب
ويحلين لآلئا ** أضعاف أدمعها السواكب

تنبيه: من صور التطير سوانح الصوفية وأحوالهم التي تردهم عن الطاعات ويقطع بها الشيطان طريقهم إلى الخيرات ويهون القلوب ويحل العزمان والله عز وجل يقول {فإذا عزمت فتوكل على الله}.

- **سادسا/ الفأل :** وهو من العلوم الصحيحة وهو سبب صحيح مؤثر في الكون كالأذكار وصلة الأرحام وغيرها من الأسباب المعنوية المؤثرة، والفأل من جنس التطير إلا أن الشرع خصه منه لأمور :

1 - سلامته من التخويف والتحزين الذين هما عمل الشيطان {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه} وقال تعالى {إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وما هو بضارهم من شيء}.
2 - أن فيه حسن ظن بالله وإستبشارا بخيره ورحمته، خلافا للتطير الذي هو سوء الظن به وتعليق القلب بغيره.
3 - أنه لا يمضي ولا يرد وإنما هو سبب تتقوى به نفس المؤمن ويُحكم به أمره.

فالفأل يراد منه أمران: تقوية العزم، وإحكام الأمر؛ أما "تقوية العزم" فبإعتبار أوائل الأمور لإستجلاء عواقبها وتعجيل البشرى بخيرها وفي الحديث [لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِن أمْرِكُمْ] البخاري، وأما "إحكام الأمر" فإن الأسباب المؤثرة في الأشياء تكون حسية وتكون معنوية فكلما كان الإنسان أجمع لذلك كان أقدر على بلوغ مطلوبه وإنجاح حاجته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يبعث رجلا لحاجة نظر في إسمه فإن كان "فلاح" أو "رشاد" أو نحوها من الأسماء الحسنة أرسله وإلا قال له إجلس وبعث غيره والعامة تقول (للإنسان من إسمه نصيب).

وأصل الفأل: الكلمة الطيبة يسمعها الإنسان فيستبشر بها ويظن بربه خيرا، والعامة تقول (الملافظ سعد) اي الكلمة الطيبة سبب لحصول الخير والكلمة الخبيثة سبب لحصول الشر قال تعالى {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، قال بعضهم :

إحذر لسانك أن تصاب بفتنة

إن البلاء موكل بالمنطق

لطيفة : كان الإمام يموت بن المزرع لا يعود مريضا كراهة أن يتطير بإسمه.

- **سابعا/ القيافة:** وهي التوسم في الأثر وتتبع الماء، وهي أجناس ثلاثة : (القيافة) و (العيافة) و (الريافة)؛ فالقيافة للناس، والريافة للماء، والعيافة للأثر.

لطيفة: قال إبن حزم [حكي عن بعض القافة أنه أتي بإبن اسود لأبيضين، فنظر إلى أعلامه فرآه لهما من غير شك، فرغب أن يُوقف على الموضع الذي إجتمعا عليه، فأدخل إلى البيت الذي فيه مضجعهما فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة أسود في الحائط، فقال لأبيه: من قبل هذه الصورة أتيت في إبنك] وفي الخبر جمع بين "القيافة" و "الفأل".

والقيافة بأنواعها الثلاثة ليست من جنس العبارة و العرافة لأنه ليس فيها حل رموز وإنما هي دقة نظر وقوة تتبع لآثار الأشياء، وأكثر ما يظهر هذا العلم في سكان الصحراء لصفاء النفس وقلة الملهيات مع شدة الحاجة لهذا العلم للبحث عن الماء وشارد الدواب، ويعينهم على صقل ملكاتهم في هذا العلم قوة ظهور أثر الأشياء في بيئة الصحراء مما يعود النفس على تتبعه وإستجلاء ما وراءه.

- **ثامنا/ التنجيم :** وهو الإستدلال بحركة الأفلاك على الأحداث الأرضية، وهو من علوم العجم خاصة وإنما أدخله الشيطان عليهم لغلوهم في (علم الفلك) وتكلفهم فيه، بينما كان علم الفلك في العرب علما أميا يوافق طبائعهم وعقولهم الفطرية قد إطرحوا منه ما كان شديد التكلف ضعيف الدلالة ولذا لم يكون "التنجيم" فيهم ظاهرا، وعلم النجوم أضراب ثلاثة :-

1 - علم حسي: وهو الذي يسمى [علم الفلك] وهو علم صحيح ظاهر السببية يدرس أهله مواضع الأفلاك وحركتها قال تعالى {فلا أقسم بمواقع النجوم} ويفيد ذلك معرفة الفصول والإتجاهات وحركة الماء في الأرض ونحو ذلك، وطريقة العرب فيه أعدل الطرق وذلك أنهم يعتمدون المشاهدة أصلا والحساب فرعا، أما العجم فيعتمدون الرصد أصلا والمشاهدة فرعا، ومن هنا كانت طريقة العرب أوثق وعلمهم بالنجوم أصح في حين كثر الغلط والوهم في العجم.

2 - علم سنني: وهو من جنس العلوم الحدسية وهو بالقيافة أشبه، وذلك أن أهله يرصدون تغير طبائع الأشياء في مطالع الكواكب فيعرفون أحوال كل زمان وما يليق به ، فمن ذلك قولهم [إذا طلع النجم -الجوزاء-، إتُقي اللحم وخِيف السقم] فهو وقت يحتاط فيه المرء لمأكله ومشربه لضعف البدن فيه قال طبيب العرب [إضمنوا لي ما بين طلوع الجوزاء إلى سقوطها أضمن لكم سائر السنة]، [ولزيادة القمر حتى يصير بدرا أثر بين في زيادة الدماء والأدمغة وجميع الرطوبات] "كتاب الحيوات"، قال زيد بن ثابت [إن الثريا إذا طلعت إرتفعت العاهات] أي أنه وقت صحة للزروع والأبدان قال الخلاوي :

حساب الفلك بـ"الثريا" مركب

يحرص له الفلاح والطبيبي

وذلك أن الثريا تختفي أربعين يوما ثم تطلع فيكون ذلك وقت سقم وقد ذكر أن يهود خيبر كانوا لا تصيبهم حمى المدينة فسئلوا عن ذلك فقالوا [نترك الدواء إذى إختفى النجم، ونأكل الثوم، ونسكن اليفاع] .

3 - علم شيطاني: وهو الذي مزجت فيه الشياطين السحر بالخرافة وهو الذي يسمى [علم التنجيم] ، وهو علم يدعى فيه علم الغيب أو التأثير في الأشياء سعدا ونحسا أو تحبيبا وتبغيضا فباطله خرافة شرك وصحيحه سحر وكفر .

- **تاسعا/ البيان:** قال عليه الصلاة والسلام [إن من البيان لسحرا] لما فيه من خفاء الصنعة وقوة التأثير في السامع والتخييل عليه بتقليب الأمور، ومن ذلك كانت كتب البدع في حكم الشرع كتب سحرية كما نبه على ذلك الإمام محمد في فوائده على قصة هاروت وماروت لأنها تعمد إلى المتشابهات لتقلب بها الحق باطلا والباطل حقا كما يقلب الساحر العصا حية.

وأشد البيان سحرا هو "الشعر" من وجوه كثيرة:

1- كونه أشد تخييلا ولذا قالوا [أعذبه أكذبه].
2- إستخراجه لخبايا النفوس وإبانته عنها فشابه الكهانة بذلك.

3- قوة تأثيره في نفس سامعه حتى يحمله على أحوال أشبه بالجنون من فرط شجاعة وفرط كرم وفرط وجد ونحوها.
4- كونه ألصق بالعلوم الروحية من العلوم الصناعية ولذا لا يفلح فيه إلا من كانت له قريحة شعرية بالخلقة.
5- الأحوال الروحية التي تعرض لأهله والتي هي أشبه بأحوال الكهانه كما فصله الأستاذ عبدالله الطيب في كتابه [المرشد في فهم أشعار العرب].
6- نشأة هذا العلم: فإنه كان في أول أمره من قبيل الكهانة وكانت بدايات نشأته سجع الكهان ثم تطور وإستقل فنا لغويا، وإسمه مشعر بذلك قال إبن رشيق [إنما سمي الشاعرة شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره] فإشتقت العرب إسم الشاعر من هكا المعنى كما إشتقت للعراف إسما من المعرفة بما لا يعرفه غيره.
7- أن الجن أو الملائكة تمد بعض أهله وتعينهم: وذلك بأن يكون للشاعر رئي من الجن أو أن تدركه لمة ملك أو شيطان قال تعالى {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} فقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) وإن كانت جملة جديدة إلا أنها سيقت لمناسبة الشبه بين الشعراء والكهان : في الحالة الروحية التي تسبق الكشف البياني للشاعر أو الكشف الغيبي للكهان -رؤية الجن وتخييلاتهم-، وفي تنزل الشياطين أو الملائكة وإلمامهم بهم، وفي كون نشأتهم واحدة فالشعر وسجع الكهان ولدا من رحم واحدة.

- **عاشرا/ العلوم الصناعية:** سواءا [العلوم السمعية] أو [العلوم التجريبية] فإن هذه العلوم ليست منبته عن [العلوم الروحية] بالكلية بل إنها يدخلها "الحدس" تبعا بقدرها وإن كان الأصل فيها "السمع" او "الحس"، وها هنا أصل عظيم في مناهج العلوم وطرائقها: وهو أن الله حين ذكر أجناس العلوم أشار إلى تنوع مناهجها بإضافة كل جنس منها إلى أداته التي يتلقى بها (السمع، والأبصار، والأفئدة)، إلا أن تنوع المناهج بين العلوم وإختصاص كل جنس منها بمنهجه في التلقي والنظر لا يعني عدم إتصاله بالمناهج الأخرى وعدم دخولها فيه بالكلية بل المناهج تتداخل بقدرها وإن كان لكل علم منهجه الأصلي المقدم فيه على غيره، فالعلوم "السمعية" يدخلها شيء من "الحس" و "الحدس" ولذا إحتج السلف في إثبات الصفات بالذوق وإتجاه القلب إلى السماء ونحو ذلك مع كونه علم سمعي وذكر إبن تيمية عن نفسه أنه كان يناظر الزمخشري في منامه فإذا أفاق دون ما حصل له من علم في تلك المناظرات، ومن هذا الباب [قال الكشميري: إذا وجدت النووي مثلا يتكلم في حديث والترمذي يحسنه فعلك لما ذهب إليه الترمذي، فإن -النووي- مبناه على القواعد لا غير وحكم الترمذي يبنى على الذوق والوجدان الصحيح، وإن هذا هو العلم وإنما القواعد عصى الأعمى!] "فيض الباري: 216/6"؛ والقصد أن كل نوع من أنواع العلوم الثلاثة له منهجه -سمعي أو ذوقي أو تجريبي- وتدخله المناهج الأخرى تبعا لا أصلا، فلا تضرب العلوم بعضها ببعض ولا يبت بعضها عن بعض والناس في ذلك بين طرفين ووسط.

لطيفة: من أمثلة دخول العلوم الحدسية في العلوم الحسية ما رواه الذهبي في "تاريخ الإسلام" [قال الحسين بن فهم: قدم إلينا محمد بن سلام -صاحب طبقات فحول الشعراء- بغداد سنة إثنتين وثلاثين، فإعتل على شديدة فأهدى إليه الرؤساء أطباءهم وكان منهم

إبن ماسويه، فلما رآه قال: ما أرى من العلة كما أرى من الجزع؟، فقال: والله ما ذاك حرص على الدنيا مع إثنين وثمانين سنة ولكت الإنسان في غفلة حتى يوقض بعلمه، فقال: لا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة والغريزية وقوتها ما إن سلمت من العوارض بلغت عشر سنين أخرى؛ قال إبن فهم: فوافق كلامه قدرا فعاش كذلك ومات سنة إثنين وثلاثين ومئتين]، وفي "ذم الهوى" لإبن الجوزي عن أبي مسلمة المنقري [كان عندنا بالبصرة نخلة -وذكر من حسنها وطيبها- ففسدت حتى شيصت، فدعا صاحبها شيخا قديما يعرف النخل فنظر إليها وإلى ما حولها من النخل فقال: هذه عاشقة لهذا لهذا الفحل الذي بالقرب منها! ، فلقحت منه فعادت إلى أحسن ما كانت].

(الروحانيات: العلوم الحدسية المحرمة)

25- [باب ما جاء في الكهان ونحوهم]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب اربعة أحاديث وأثر عن إبن عباس ونقول :

1 - الأحاديث الثلاثة الأول: متى يكون الذهاب للسحر والكهان والعرافين شرك أكبر؟.
2 - الحديث الرابع: متى يكون الذهاب إليهن شرك أصغر؟.
3 - الأثر والنقول: الفرق بين الكهانة الشيطانية والعرافة الخرافية.

(الروحانيات: حل السحر)

26- [باب ما جاء في النشرة]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب حديث وثلاثة آثار ونقل عن ابن القيم :

1 - الحديث وأثر إبن مسعود: حل السحر بالسحر.
2 - أثر سعيد بن المسيب: حل السحر بالرقية والتداوي.
3 - أثر الحسن: فضح السحرة الذين يحلون السحر بغير الرقية.
4 - كلام إبن القيم: التفصيل الذي يحل الإشكال.

(الروحانيات: التعلق بالأسباب الصحيحة أو الباطلة)

27- [باب ما جاء التطير]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب اربعة آيتين وأربعة أحاديث وأثرين:

1 - الآية الأولى: أن الله هو المسبب الذي بيده كل شيء.
2 - الآية الثانية: أن كل ما يتعلق به الناس من دون الله هي مجرد أسباب منها الصحيح والباطل.
3 - الحديث الأول: النهي عن التعلق بالأسباب كلها.
4 - الحديث الثاني: أن من الأسباب ما هو صحيح السببية.
5 - الحديث الثالث: النهي عن التعلق بهذه الأسباب الصحيحة مع الأخذ بها.
6 - الحديث الرابع: أن الأخذ بالأسباب الباطلة شرك أصغر.
7 - الأثر الأول: كفارة الطيرة (تجديد التوحيد).
8 - الأثر الثاني: ضابط الوقوع في الطيرة.

لطيفة: روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب ممن الداء والدواء؟ فقال تعالى [مني]، قال: فما يصنع الأطباء؟ قال [يأكلون أرزاقهم، ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي].

(الروحانيات: أحوال الناس مع النجوم)

28- [باب ما جاء في التنجيم]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة أحوال للناس مع علم النجوم :

1 - أهل التوحيد والسنة: الذين علمهم بالأفلاك خالٍ من "التكلف" و "الخرافة".
2 - أهل البدع: المتعمقون **المتكلفون** فيها مالا ينفعهم.
3 - أهل الشرك: المتعلقون بالنجوم المصدقون **بالخرافات** فيها.

(الروحانيات: شرك النجوم)

29- [باب ما جاء في الإستسقاء بالأنواء]

بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وثلاثة أحاديث :

1- الآية: كون نسبة الخير والسعد للنجوم من كفر النعمة.
2- الحديث الأول: إنه من أمر الجاهلية.
3- الحديث الثاني: عموم البلوى به.
4- الحديث الثالث: أن المرء قد يقع فيه بكلمة لا يشعر بها مع إعتقاده التوحيد وأن الله عو النافع الضار وحده كما وقع من بعض الصحابة (شرك ألفاظ).